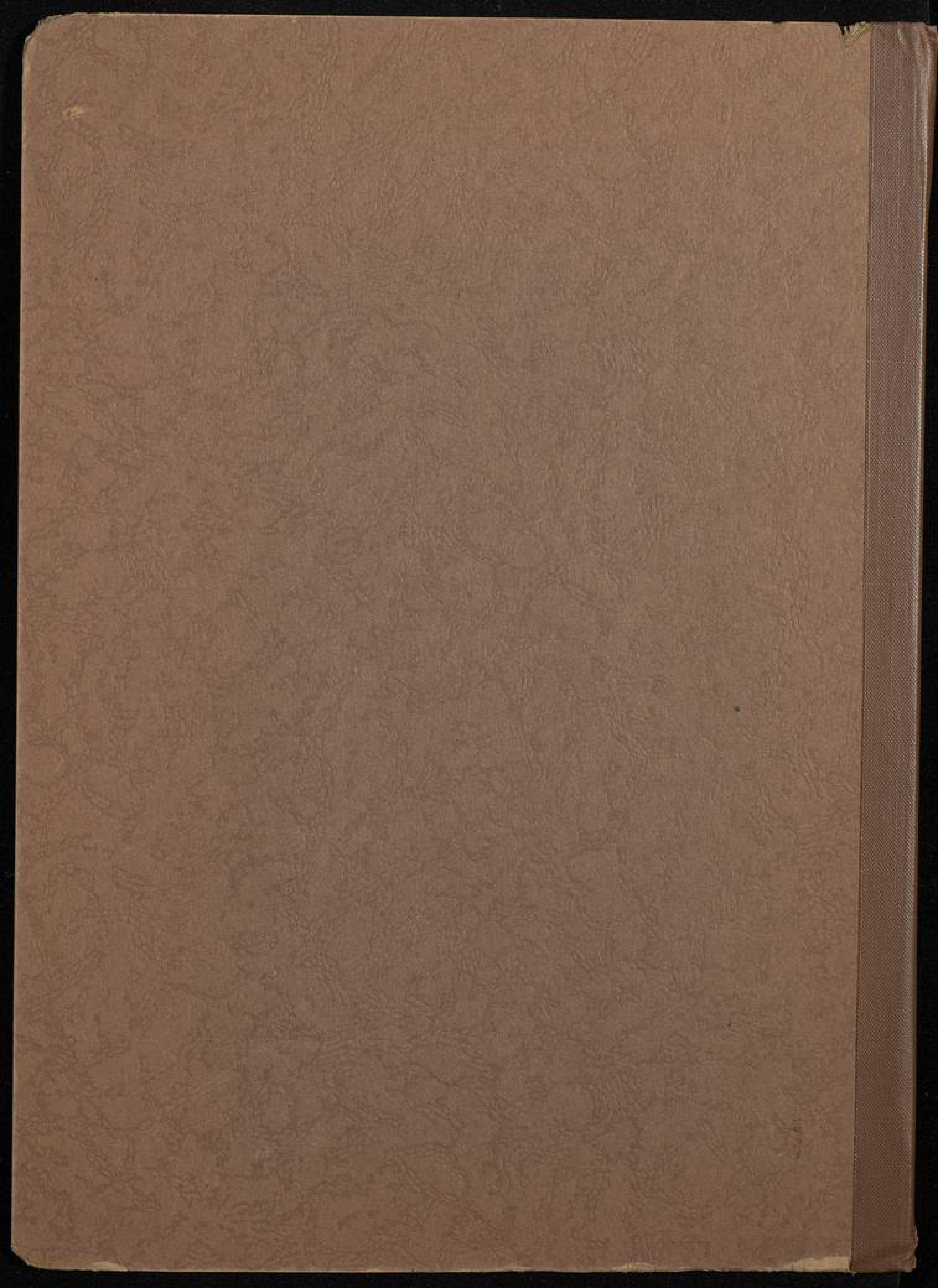
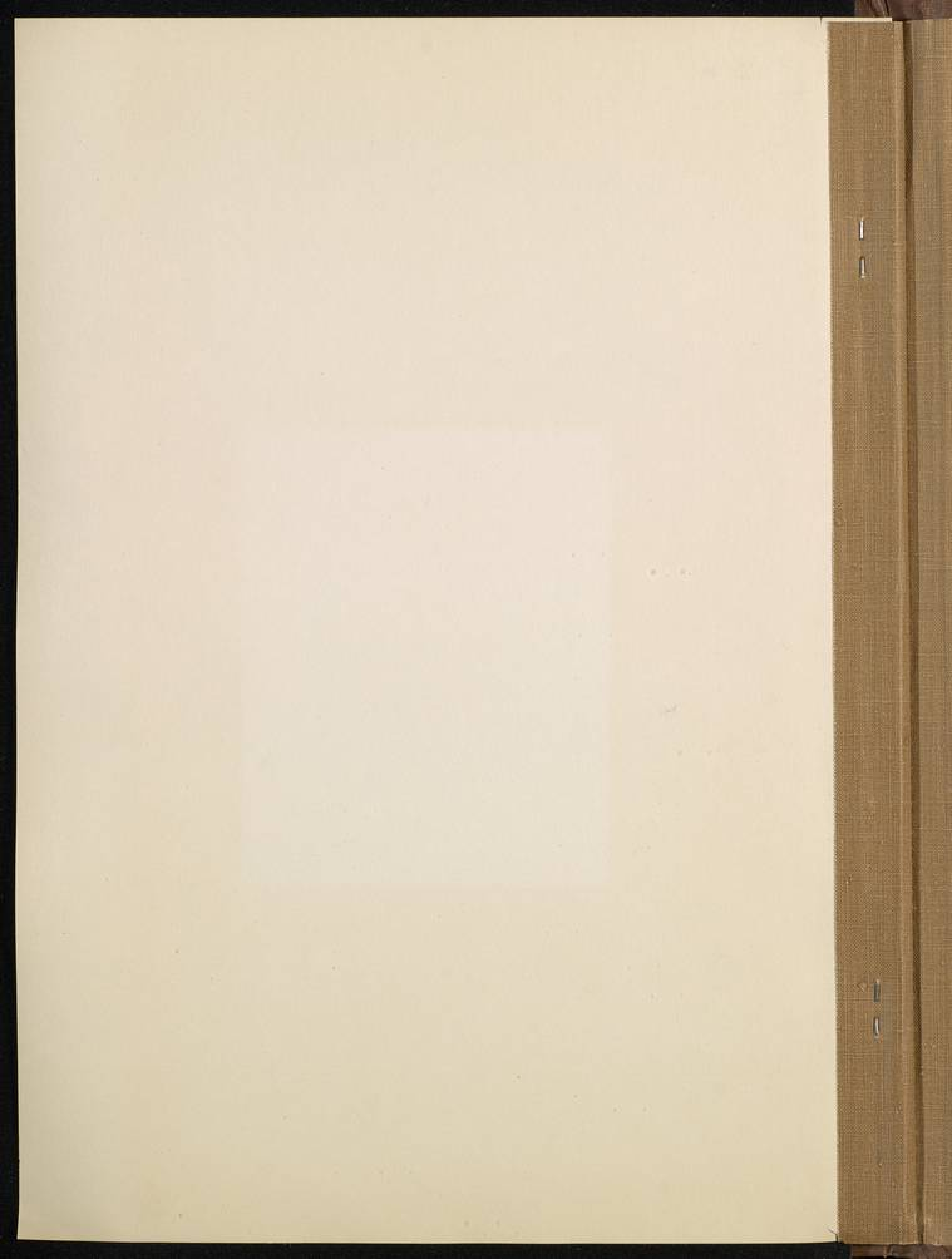
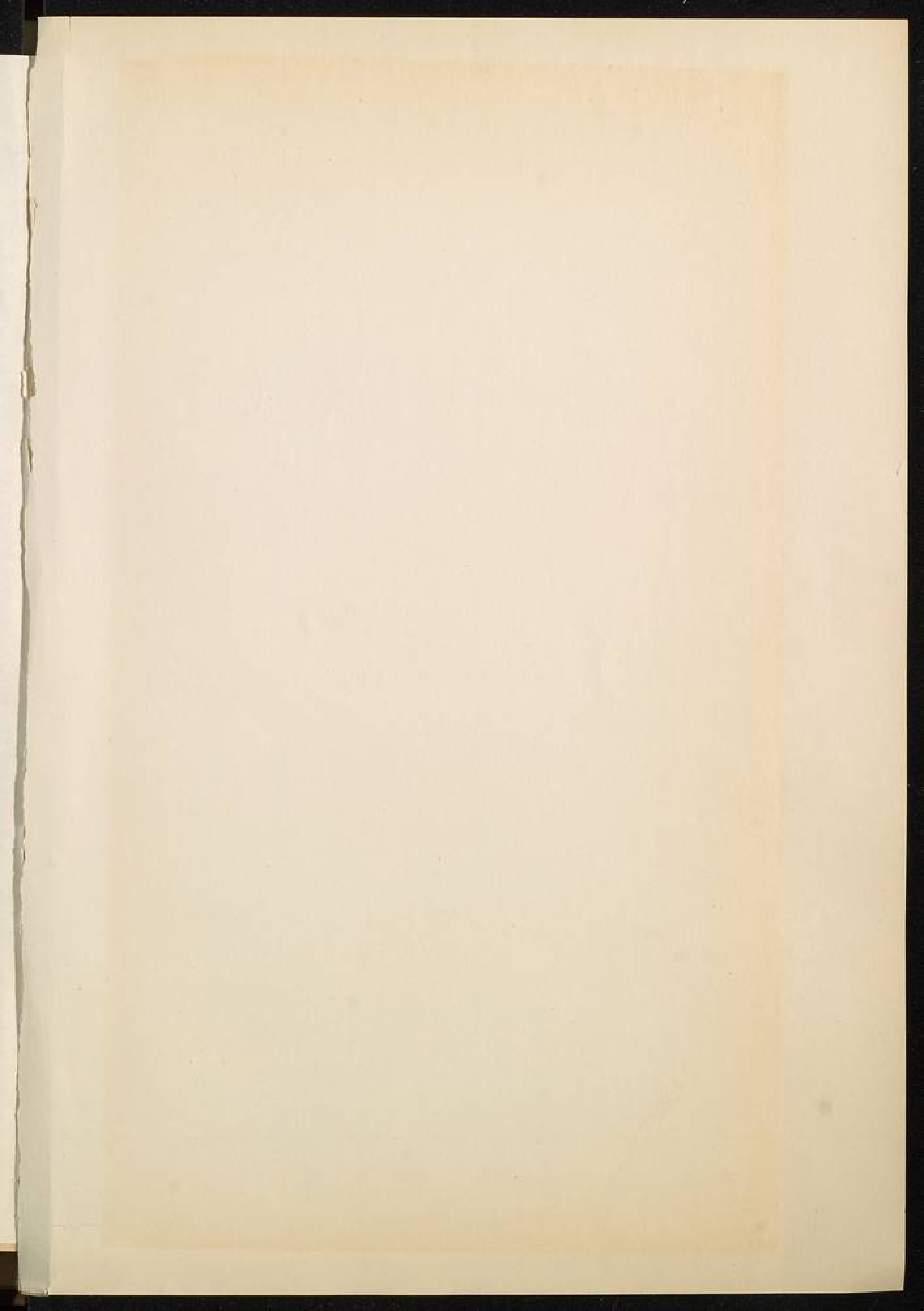



Gaylord
PAMPHLET BINDER
Syracuse, N. Y.
Stockton, Calif.







مناظرة لغوية أدبية

بين الأساتذة

عبد الله البستاني
عضو المجمع العلمي العربي
وصاحب معجم البستان

عبد القادر المغربي
رئيس المجمع العلمي السابق
وعضو مجمع اللغة الملكي

انستاس الكرملي
عضو المجمع العلمي العربي
وعضو مجمع اللغة الملكي

* * *

مكتبة القدسي

لصاحبها حسام الدين القدسي

القاهرة - باب الخلق - حارة الجداوي ١ بدرب سعادة



مناظرة لغوية أدبية

بين الأساتذة

عبد الله البستانى
عضو المجمع العلمى العربى
وصاحب معجم البستان

عبد القادر المغربى
رئيس المجمع العلمى السابق
وعضو مجمع اللغة الملكى

انستاس الكرملى
عضو المجمع العلمى العربى
وعضو مجمع اللغة الملكى

*
* *

مكتبة القدسي
لصاحبها حسام الدين القدسي
القاهرة - باب الخلق - حارة الجداوى ١ بدرب سعادة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسل الله

أما بعد فقد كنت اطلعت على هذه المناظرة التى جالت فيها أقلام ثلاثة من شيوخ اللغة ، وهم الاساتذة :

عبد الله البستانى	عبدالقادر المغربى	انستاس الكرملى
عضو المجمع العلمى العربى	رئيس المجمع العلمى السابق	عضو المجمع العلمى العربى
وصاحب معجم البستان	وعضو مجمع اللغة الملكى	وعضو مجمع اللغة الملكى

وامتدت أحد عشر شهراً (من ٣٠ تشرين الثانى « نوفمبر » سنة ١٩٢١ - ٣٠ تشرين الأول « اكتوبر » سنة ١٩٢٢) حققوا فيها بحوثاً يسر لها الكتاب .

وقد رأيت فى جمعها ونشرها اليوم - ونهضة اللغة والأدب فى بلاد العرب يشاد صرحها - فائدة يطرب لها الباحثون واللغويون .

وكان معظم مقالات المناظرة نشر فى (جريدة الوطن البيروتية[1]) واشتركت فى نقلها او التعليق عليها كبريات صحف سورية والمهجر : منها (جريدة الحقيقة) وكان من تعليقاتها فى ذلك : (ذكرى لغوية بقلم أمير البيان الأمير شكيب أرسلان) و (جريدة البرق) نشرت « نقدات طائر للاستاذ طانيوس عبده » و (جريدة المعرض) نشرت مقالة بعنوان (خلايا النحل للأستاذ الشيخ ابراهيم المنذر) بتوقيع « أبو صلاح[2] » و (جريدة المقتبس) و (التقدم) وغيرها . (القدسى)

---

(١) صاحب هذه الجريدة هو الاستاذ وديع عقل الذى اشتهر بحب اللغة العربية وخدمتها ، وكان من تلامذة الاستاذ الشيخ عبد الله البستانى . وهو الذى رحب بهذه المناظرة وفتح لها صدر جريدته . وعزم على نشرها فى كتاب خاص ، ولو بقى حياً لفعل .

(٢) وللدلالة على مبلغ تأثير هذه المناظرة فى نفوس قرائها أنقل هنا ما افتتح به الاستاذ المنذر مقالته : دخلت أمس على رجل من سراة القوم متصف بكل مكارم الاخلاق إلا انه غير عالم ولا إلمام له بأصول اللغة . دخلت فى محله التجارى لا فى منزله فوجدته مكباً على منضدته فتحاشيت أن أشغله عما بين يديه أحسب أنه منهمك بادارة عمله ، وانصرفت الى شريكه ريثما يفرغ هو من عمله ويقبل على فأكلمه فى حاجتى ، وبعد هنيهة قمت اليه أريد أن اسأله هل يطول عمله فأرجىء مذاكرتى الى وقت آخر فأدهشنى أن الرجل كان مكباً لا على دفتر حساب ولا على قائمة بضاعة بل على رد الاستاذ المغربى على الاستاذ البستانى . اه .

المقالة الاولى

للشيخ عبد الله البستانى

(بحوث هذا المقال : حبذ يحبذ ؟ واطن يواطن ؟ رجل بكل معنى الكلمة ؟ داخل يداخل مداخلة ؟ حايد وتحايد ؟ تأكد ؟ برهة ؟ انتزه وتنزه ؟ عنابر ؟ لا سيما)

سرنى أن فى دمشق جلةً من ذوى البسطة فى الادب والخبرة بصحة القول واعتلاله أطبقوا على أن يحموا حوزة اللغة بمداورة كتابها على مناهج تقيهم من الخطل ومحال الكلام فلم يروا لهم متسعاً عن انتظامهم فى معلم ينتدونه يعرفون فيه بالمجمع العلمى [(١)] وهنالك يأتمرون ويتواضعون على تمريض اللغة قبل أن تتبلغ بها العلة فبذلك لهم صنائع يتقلدها كتبة لا تأمن أقلامهم من الزلق لانهم يكدون الخواطر فى زمن لا يرزق كلامهم فيه حظه من الروية ولكن المجمع العلمى سيكفيهم مؤونة الامعان فى التنقيب فاذا تقرر ذلك فالى كل من ادبائه تنبسط آمالى ألاَّ يستقل برأيه فيذيع منتقداته أو أوضاعه قبل أن يواضعه حرفاؤه الرأى فيها ممعنين جميعاً فى التحقيق ومتساندين على سد مواضع النكير من قوله وأن يسموا له وجها يسمى عليه تفادياً من أن يفتلت القول افتلاتا تتوالى فيه الهفوات أو يعتسره اعتساراً لا تقال به العثرات فان الصواب لا يدرك عن بديهة ولكنه بعد إمعان النظر و بذل الوسع والتعقب . ولا أتعمد بهذا المقال تعريضاً بمحصل يقتحم كلام المحصلين ولا اقامة السد من دون منتقد يزين أقوال المتأدبين فيعز علىَّ أن يحط كاتب عن منزلة بوأه إياها الادب أو يُعترض فى سبيل ناقد يُعنى بلغة العرب فان اللغة لمحتاجة الى أدباء يحمون ذمارها و يرفعون منارها فأخلق بها أن تتلهف جزعا

(١) يعنى مجمع دمشق المشهور باسم (المجمع العلمى العربى) وكان يومئذ حديث النشأة .

على جهابذة هزتها بهم المسرة فى القرن التاسع عشر وبعض العشرين فلو رد عليها هذا القرن أنداداً للطاعنين لقيل لها أخلف الله عليك بمثل هؤلاء البنين. وان نفسى لتحدثنى بأن الناقدين لا يغلظون علىّ عتابا اذا قلت لا أرى بعد الذين غيبتهم صدوع الأرض محققين من جيل هذا العصر يخلد اليهم بالثقة فذلك اسمعته مراراً كل من كان يستنزلنى عن ضميرى ولولا الحذر من انقباض أبناء أنس لا أود أن يستوحشوا من صوبى لأيدت ما أقول بالحجة الشهباء والبينة الناصعة ومما لا يعترينى الريب فيه أن العليل إذا تعاقب علاجه الاطباء الذين تباينت آراؤهم فى علته زادوه اعتلالا وان كانوا كلهم حذاقاً ومن البديهى أن الاحكام لا تكون وثيقة الابرام ان لم يتواطأ على تسديدها أرباب النظر البعيد. ومهما يكن من الامر فالى المجمع العلمى وحده تلق اللغة مقاليد أمرها والى أعضاده تطمئن اليوم الخواطر وانى لمتوقع منهم ألا يستنزلوا نفوسهم الى تخطئة كاتب لرفعه سهواً ما حقه أن ينصب أو نصبه ما حقه ان يخفض أو لهفوة لا تخفى على من شدا قليلا من العلم فمثل ذلك موكول إلى أساتذة المدارس فالناشئون يتمرنون عليه كل يوم ويتدربون وأما أرباب الصحائف فليسوا براء من الهفوات ولكن إذا هفا الواحد منهم فما من العدل أن يشهر بهفوته فى آفاق الارض فان زمن إنشائه لكل مقال فى صحيفته يكاد يكون أقصر من لحس الهر لأنفه وكيفما يكن الحال فمن المقدر عندى ان ذوى العرفان والتحقيق من ذلك المجمع مصممون على صرف حملة الاقلام[1] عن تداولهم ألفاظا كثيرة هى بمعزل عن المعنى الذى يتهمونها بالدلالة عليه وعازمون على وضع أسماء لمسميات خفيت معرفتها على العرب وعاقدون نياتهم على نصبها فى الصحف اهدافاً لأقلام الناقدين قبل ان يتراوح الصحافيون استعمالها. وهاءنذا أستطلع آراءهم فى بعض ما يحضرنى من الكلم التى لا ينقلب

(١) يشير الاستاذ الى المقالات التى كان (المجمع العلمى) ينشرها فى الصحف بعنوان (عثرات الاقلام) وهى التى حملته على فتح باب هذه المناظرة.

عن الادمان لنشرها كل كاتب كائناً ما كان .

لكم تداولت اقلام الكتاب «حبذت عمل فلان وأنا محبذ رأيه وأ كثرت من تحبيذه» يريدون بذلك استحسنت عمله وأنا مستحسن رأيه وأ كثرت من استحسانه فهذا مستطير فى كلام الصحافيين وغيرهم من المصنفين والمترسلين مع ان أيمة اللغة أمسكوا عن الاقرار بصحته إلا صاحب القاموس فانه أثبت المضارع من هذه المادة مقروناً بلا الناهية قائلا لاتحبذنى أى لا تقل لى أنت حبيبي وهو مفهوم من قول الفراء لا تقل لى حبذا فحبذ لفظ مولد أهمله كل ارباب المعاجم إلا صاحب القاموس فقد أثبته تباهياً على الجوهرى فى ان القاموس أغزر مادة من الصحاح فقال صاحب التاج «فى زيادة مثله على الصحاح نظر» فلو تسامح أعلام اللغة فى استعماله ما تسامحوا فى جواز دلالته على المعنى الذى استحدثه له بعض كتاب هذا الزمن الاخير .

وأحلوا المواطن فى موضع الوطنى قائلين قدم مواطننا فلان ونطلب من مواطنينا فى مصر كذا مع انه لا يدل على شىء مما يعنون فهو اسم فاعل من واطنت فلاناً على هذا الامر إذا أضمرت فى نفسك ان تفعله معه أما إذا توافقتما على فعله قلت واطأته عليه بالهمز فشدة الهمزة أحدثت قوة فى الفعل ورخاوة النون أحدثت ضعفاً فيه .

ومن أوهامهم قولهم فلان رجل بكل معنى الكلمة فذلك تعبير ليس من العربية بشىء فالعرب يقولون فلان رجل أىُّ رجل وأيما رجل على معنى كاملٍ فى كل صفات الرجولية ، وكذلك هو الرجل كل الرجل وهو العالم حق العالم وجِدّ العالم يريدون البليغ الكامل فى كل الصفات . فهذا جزء مما يحضرنى من اوهام حملة الاقلام وانى سأعلن بعضاً من سائرها فى زمن اتحينه إن شاء الله ولن اتصدى إلا لما وهم فيه السواد من الكتاب لا أتجاوزه إلى غيره مما يخطىء به الواحد ولا يخطىء الآخر .

ومع ذلك فأرغب إلى المجمع العلمى أن يهديهم جميعاً إلى ما يغنيهم عن كلم تمادوا فى مزاولتها وهم يصرفونها عن مدلولاتها : كأعمدة الجرائد والعدد من اعدادها

والموظف والوظيفة وغيرذلك فهذه الكلم و كثيرات من نظائرهايثبتها الصحافيون فى كل نشرة من صحائفهم وليست واحدة منها تتأدى الى المعنى الذى اليه يقصدون فلا سبيل إلى حضنة العلم من ذلك المجمع عن وضع غيرها مما يسد مكانها فان نفسى لتناسمنى بأن الآمال لا يكذبنى رائدها لانهم سيفعلون .

والآن تحركنى الدالة على المجمع العلمى الى مفاوضته فى ما عرض لنظرى الحسير مما قرأته من اقواله فى مقالتين إحداهما فى جريدة الهدى والأخرى فى جريدة الارز وسأنقل بالحرف الواحد قول الكاتب الذى ينسب اليه الخطأ ثم نقد المجمع لكلامه وأعقب ذلك بما يتمثل لخاطرى مما قيل :

قال الكاتب «أجمعت الصحف على حياد انكلترا وعدم مداخلتها مع اليونان» وقال المجمع « إذا لم يكن بد من استعمال فعل المداخلة فالاصح أن يقال وعدم مداخلتها فى أمور اليونان كذا يفهم من صحاح الجوهرى » اه .

* * * (١)

أقول ليس فى قول الصحاح مايبرىء المجمع العلمى من السهو وهاك ما قال الجوهرى « دخيل الرجل ودخلله الذى يداخله فى أموره » فكلام الجوهرى فيه ايجاز القصر . وايضاحه ان كل ما كان مباطناً للرجل كنيسته وسريرته وصاحب سره وغير ذلك يدعى دخيله ودخلله لانه يداخله فى كل أموره فداخل فعل متعد لا لازم فلا يقال داخلت انكلترا فى أمور اليونان بل داخلت اليونان فى امورهم فمن السداد أن يقول الناقد الصواب عدم مداخلتها لليونان فى أمورهم أو عدم دخولها أو تدخلها فى أمور اليونان . ولا يخفى على البصير أن النزيل على القوم يقال له عند العرب الضيف لأنه يضاف اليهم فيداخلهم فى أمورهم ، ويرادفه الدخيل وهو ما سبق تفسيره فى قول الصحاح وقد كان العربى يقول فى معرض الاستعطاف أنا دخيلك يا فلان أى أنا ضيفك ولا أحد يجهل ما هى منزلة الضيف عند العرب

---

(١) هذه الفواصل فى كل مقالة تشير إلى تجزئتها فى الجريدة التى نشرت فيها .

فقول العامى وهو مستعطف «دخيلك» بالنصب فصيح محذوف العامل تقديره إرحم دخيلك أو انصره أو أكرمه أو غير ذلك ويجوز رفعه على انه خبر لمحذوف أى أنا دخيلك وبراعة الطلب ظاهرة فى ذلك واللبيب يدرى ان اقتصار المجمع العلمى على نقده لجزء من عبارة الكاتب يوهم أن سائرها لا غبار عليه مع انه هو الاولى بالتفنيد واليك تفصيل ذلك :

يقال أجمعوا على الامر إذا عزموا عليه والحياد مصدر حايد الشيء إذا جانبه وابتعد عنه وقول أقرب الموارد مال عليه صوابه مال عنه فالصناعة تقضى على الحياد ان يكون مضافاً إلى مفعوله وهو انكلترا ومآل الكلام المنسوج على هذا المنوال اجمعت الصحف على أنها ستحايد إنكلترا مع ان الكاتب يريد أن يقول أجمعت الصحف على الاخبار بان انكلترا معتزلة للحرب وغير متدخله فى أمور اليونان .

وهنا نبهني سياق الكلام الى التحايد من أقوال معظم الكتاب فانهم يقولون هذه البلاد متحايدة لزعمهم أن التحايد يسد مسد الاعتزال مع انه من اللفظ المهمل عند العرب فالاعتزال أدل من غيره على التنحى عن الحرب قال الحرث بن عباد :

قد تجنبتُ وائلاً كى يفيقوا وأبتْ تغلبُ علىَّ اعتزالى

ويؤيد ذلك ان فرسان القبيلة كانوا إذا انقبضوا عن خوض غمار الحرب ينزعون أسنة رماحهم وأوتار قسيهم فلاعتزالهم الحرب يقال لهم معتزلون ولنزعهم سلاحهم يقال لهم عزل واحدهم أعزل أو معازيل واحدهم معزال .

وقال الكاتب « تأكد القوم ان السياسة الانكليزية ترمى الى كذا » وقال المجمع العلمى « فعل تأكد لازم لا مفعول له قال فى لسان العرب تأكد الأمر وتوكد بمعنى واحد » اه .

أقول إن قول المجمع العلمى فعل تأكد لازم فيه موضعان للنظر الأول اضافة الشيء الى نفسه فانه وان تمحل النحاة لمثله وجهاً صحيحاً لا تتسع لقائله معذرة فيه فان ذلك نادر والنادر لا تبنى عليه الاحكام . والثانى تصويب كلام الكاتب إذا

قدر أن «تأكد» متعد مع انه بعيد عن مرمى الصواب سواء كان الفعل متعدياً ام لازماً فان الكاتب أجرى التأكد مجرى اليقين محتذياً مثال العامة باستعماله وذلك من الكلم المرغوب عنها والاستشهاد بتأكد من لسان العرب لا طائل وراءه فان ما قاله الكاتب من واد وما أثبته لسان العرب من واد آخر .

وقال المجمع العلمى « وقولهم فلبثوا هناك برهة من الزمن يعنون به وقتاً قصيراً مع ان البرهة هى الوقت الطويل قال الصحاح « بره أتت اليه برهة من الدهر أى مدة طويلة من الزمن » اه .

أقول قول المجمع العلمى « ان البرهة موضوعة للزمن الطويل ليس عليه اعتراض فلو اقتصر به على ما قال الصحاح ما نصبه غرضاً لغامز فانه أراد أن يؤيده بدليل المنقول فألحق به النص الصريح من الصحاح مصدراً اياه بلفظة ليست منه ففرطت حينئذ منه بادرة سبقه عليها القلم وهاك ما أورده بحرفه « بره أتت عليه برهة من الدهر أى مدة طويلة من الزمن » فوضعه بره قبل أتت عليه الخ يوهم انها فعل معناه أتت عليه برهة من الدهر وذلك خطأ غريب لأن اللغة ليس فيها فعل يدل على ذلك المعنى أما الجوهرى فقد أوردها بين قوسين قبل ذكره للبرهة مع انها لفظة مهملة لانها مادة لها ولغيرها مما فيه الباء والراء والهاء ومن غرائب الاتفاق ان المأسوف عليه صاحب اقرب الموارد اشتبهت عليه هذه اللفظة كما اشتبهت على المجمع العلمى فسبق إلى وهمه انها فعل فاستحدث لها مصدراً قاسه على مصدر فرح زاعماً انه فعل لازم من باب علم وقال بره برها أتت عليه برهة من الدهر .

وقال الكاتب «وهناك غرفة للمائدة ومحل للغسيل ومنتزه» وقال المجمع العلمى « صواب منتزه متنزه بتقديم التاء والا ظهر فى قوله محل للغسيل محل الغسل »

أقول كأنى بالكاتب يصف داراً فانكار المجمع العلمى محل الغسيل والمنتزه فى موضعه فلا نكير فيه لأن الغسيل فعيل بمعنى مفعول فيقال ثوب غسيل وملحفة غسيل أو غسيلة إذا ذهب بها مذهب الاسماء كالضريبة والطعينة والذبيحة وغيرها

ويريد بقوله محل الغسل المغسل بفتح السين وكسرها لا أحوج الله أهل الدار اليه فلو سد مكانه بمحل الاغتسال ما استلام الى ناقد فلادار خالية من مغتسل . وأما المتنزه فلا سبيل الى تسمية شيء به فى الدار أو ما يقرب منها لأن مادته وهى النون والزاى والهاء موضوعة للبعد فيقال تنزه الرجل إذا خرج إلى الارض النزيهة أو النزهة وهى الفلاة البعيدة عن الارياف ومجتمع الناس وكل ما يفسد الهواء ماطلاق المتنزه على شيء من اشياء الدار مخالف للوضع وتنزه الرجل وهو فى داره قول واهى الدليل وفى معلوم الناس أن التنزه تطلقه العامة على « شم الهواء » فالمتبادر إلى ذهنى أن التنسم وهو من ألفاظ الفصحاء يطابق ذلك كل المطابقة قال فى اللسان التنسم طلب النسيم واستنشاقه . وذلك ماتريده العامة من شم الهواء .

وقال الكاتب « البضائع المتأخرة فى العنابر » وقال المجمع العلمى « وصواب العنابر الانابر جمع أنبار وقلب الهمزة عيناً خطأ » .

أقول فى قول المجمع العلمى صوابه انابر زلقة قلم فالأنبار جمعه أنابير لا أنابر ومن سجعات الاساس « عنده من الثياب اضابير ومن الطعام أنابير » وليس الانبار مفرداً بل جمع واحده نبر بكسر فسكون لان الكلم العربية ليس فيها واحد من الاسماء على زنة أفعال ان لم يكن صفة أو موضعاً . وقول المجمع العلمى « وقلب الهمزة عيناً خطأ » فيه شيء من التسامح فلا يسمى ابدال الهمزة بالعين أو ابدال العين بالهمزة قلباً بل ابدالا فاذا عنى بذلك همزة أنابر وعين عنابر فهو فى مندوحة عما عنى لانه لا يقال أنابر ولا عنابر وإذا اراد أن الواحدة لا تبدل من الاخرى فى كلام العرب فاستقراء حروف اللغة يدفع ما أراد فانهم قالوا تعرض للشيء وتأرض له أى تصدى له وكسأه بالسيف وكسعه أى طرده وسئفت يده وسعفت إذا تشققت وقمعه وقمأه أى ردعه وأربت معدته وعربت أى فسدت واندرع واندرأ أى اندفع ودعم الحائط ودأمه إذا أسنده والأثم والعتم زيتون البر وهلم جرا .

* * *

وقول الكاتب « البضائع المتأخرة » لايثبت على النقد فالمتأخرة ضد المتقدمة فلا توصف بها البضائع لأنها لاتكون متأخرة ولا متقدمة بل متروكة أو مخلاة فى الأنبار أو الأنابير وذلك مايقصد إليه الكاتب .

انتهى بعض مارأيته مجالا للنظر فى المقالة الأولى المنشورة فى جريدة الهدى . وأما المقالة الثانية المثبتة فى جريدة الأرز فانى أقتضب منها كلاماً أعارض بعضه بكلام فى المقالة الاولى لعل المجمع العلمى ينزع منزعى فى أن بين الكلامين تدافعا مبيناً وانى لذا كرهما مستجيزاً إياه أن ألحقهما بيسير من القول يكون وراءه انتهاء النظر :

قال فى المقالة الأولى « وسنجهد فى الاقتصار على مانظنه خطأ فى القول مما لايحتاج الأمر فيه الى الرد والمناقشة » .

وقال فى المقالة الثانية المثبتة فى جريدة الأرز « إننا فى انتقادنا نمشى على أفصح لغات العرب وأبلغ أساليب الكتاب أما اذا كان هناك قول أو لغية تجيز الكلمة التى انتقدناها أو الأسلوب الذى عبناه فلا يضرنا ذلك » .

أقول من اعتبر الكلامين وعارض أحدهما بالآخر بدا له أن بينهما تناقضاً ظاهراً . فكأنه يقصد فى كلامه الأول أنه لاينتقد إلا مايظنه ليس عليه ظل للصحة أما اذا بدا له قول فيه وجهان مختلفان أحدهما راجح والآخر مرجوح فانه لايتصدى لنقده ذهاباً الى أن الأحسن لاينفى الحسن والأفصح لاينفى الفصيح وكأنه يقصد فى كلامه الثانى أنه ينتقد كل ماليس من أفصح اللغات فاذا عن له فى كلام أحد الكتاب قول لم يذهب كل أهل النظر الى تصويبه فانه ينتقده وإن كان له عند بعضهم وجه من الصواب ، وتعزيزاً لكلامه قال :

مثاله أننا انتقدنا حذف « لا » من لاسيما وزيادة الواو من « لابد وأن » فاذا قال قائل « إن هناك لغة تجوز ذلك » نقول له « وهناك أيضا لغة تجوز أكلونى البراغيث فهل نستعمل هذه اللغة ونترك الانتقاد على الكتاب الذين يجرون عليها فى كلامهم » .

أقول ينكر النحاة على المصنفين حذف « لا » من لاسيما إلا الرضى فانه قال « وقد يتصرف فى لاسيما تصرفات كثيرة لكثرة استعمالها كحذف لا وتخفيف الياء مع وجودها » فقول الرضى لايقدح فى نقد المجمع العلمى لأن ذلك لم يسمع إلافى كلام المولدين ومما يجب تنبيه الكتاب عليه أن «لا» من لا سيما لابد من اقترانها بالواو فيقال رحل القوم ولا سيما زيد ومن أحكامها أنها لاترد بعدها الجملة مصحوبة بالعاطف وقول بعضهم ولا سيما والأمر كذا كلام غير عربى وأما قول بعض الكتاب لابد وأن يكون كذا فقد استعمله أقطاب الناقدين وجهابذة أرباب التحصيل كجلال الدين السيوطى والسيد السندوعبدالحكيم السيلكوتى وفخر الدين الرازى وابن أبى الحديد وغيرهم ممن يرجع اليهم فى المشاكل أفليس من الحيف أن ننفض غبار العذل عن هؤلاء المحققين ونشدد النكير على أدباء يقلدونهم فيما يكتبون قال الفرزدق :

أتضرب أقواماً براء ظهورهم وتتركُ حقَّ اللهِ فى ظهر مالك

فلم تتعارض آراء بعض المحققين فى صحة استعمال «لابدوأن» ولكنهم اختلفوا على الغرض من الواو قبل أن . قال الغزى تفيد هذه الواو تأكيد لصوق لا بالخبر وأثبتها الزمخشرى ومقلدوه بين الموصوف وصفته الواقعة جملة أما ابن هشام فلم يثبت واو اللصوق ولكنه رجح أنها من الحروف التى دخولها كخروجها فهى عنده كـ«ما» الزائدة بين حرف الجر ومجروره ، وقال ابن عابدين «رأيت فى بعض الهوامش أنه روى عن أبى سعيد السيرافى أنه قال تجىء الواو بمعنى من نقلا عن سيبويه فاذا ثبت ذلك كان حمل الواو هنا عليه أولى من دعوى زيادتها اهـ .

ومن الأمور التى يعاتب المجمع العلمى عليها أنه يعيب على الكتاب زيادة الواو ويتناسى عيب زيادته لها بعد نقدها بسطر واحد واليك ماقال : فاذا قال قائل «إن هناك لغة تجوز ذلك» نقول له وهناك أيضا لغة تجوز أن يقال « أكلونى البراغيث » فالواو من قوله وهناك أيضا لا يقوم على صحة زيادتها دليل فلو كان

الكلام الذى وردت فيه نقله المجمع العلمى عن غيره لعد من محكيات الجمل لأن الجمل التى تراد حكايتها يورد الحاكى لفظها المسموع على هيئته غير مغير منه شيئا فكلام المجمع العلمى لم يكن مسموعاً ولا ملفوظاً قبل إيراده له فلا يسمى مفعولا محكيا بالقول بل مفعولا للقول غير محكى به واعتراض الواو وحدها بين العامل ومعموله لاتنهض به حجة ولا يبعد المجمع العلمى عن عهدة المؤاخذة سوى قوله إنها مضروبة على قالب سميتها التى بعد لابد . وأيضا من قوله « وهناك أيضا الخ » فى غير منزله لأنه اذا تقدمه قول أو مايجرى مجراه وجب أن يكون ذلك القول مسبوقاً بقول آخر وأن يكون القولان لقائل واحد على شريطة أن يكون بين شيئين متوافقين يغنى الواحد منهما عن الآخر نحو قلت إن زيدا راحل وقلت أيضا إن عمراً منطلق فأيضا فى المثال بمعنى الرجوع منصوب على أنه مفعول مطلق محذوف العامل أو حال على تأويله باسم الفاعل ، وتحرير المعنى أرجع رجوعا الى قولى الأول أو أقول راجعاً الى قولى معاوداً لأن قولك قال فلان أيضا معناه قال راجعاً الى قوله وهذا لايحسن تقديره إلا اذا كان هذا القول قد صدر من القائل بعد صدور القول السابق منه ولا يخفى على المجمع العلمى أن أيضا فى كلامه مسبوق بقولين أحدهما قوله والآخر قول غيره فلو قال وهناك لغة تجوز كذلك أن يقال الخ لبرىء كلامه من هذا النقد .

والآن أقطع على القلم وجهته التى ركب فيها رأسه وأرده الى وجهة أخرى هى إجمال الثناء على المجمع العلمى لذوده عن حياض اللغة واهتمامه بازالة مايعتريها من الأوصاب وما أقدم بى على ما أمضيت عليه صريمتى سوى الوفاء بالعهد للغة يعتزجانب من يرعى لهاميثاقا ولا يطيب عرق من لايحفظ لهاجميلا أو يغمط لها إحساناً ولا تعترينى الشبهة فى أن ذلك المجمع مرتاح لما اندفعت اليه يقين انى أشد بذلك على زنده فاذارأى فى كلامى مرمى لناظر فانى لنازل على حكمه إن رد على الحجةوالا فاستنانه بسنة سيبويه يضمن له السكون اليه والثقة به .

فمن المأثور أن سيبويه كان له فى المسجد حلقة من أبناء البصرة ينقطعون إليه فيها فبيناهم يتلقنون منه نوادر العرب ودقائق اللغة هبت ريح هوجاء أطارت أوراقهم فقال لأحد أهل الحلقة اخرج فانظر أية ريح هى فخرج فنظر ثم عاد فقال هى ريح ماتبثت على حال فقال سيبويه تقول العرب فى مثل هذا تذاءبت الريح أى جاءت من هنا وهاهنا كالذئب فقال الأخفش نعم وتقول كذلك تذأبت فقال سيبويه لم يسمع فقال الأخفش بلى سمع فاستاء مجالسو سيبويه من جراءة الأخفش عليه وزووا وجوههم عنه ثم انصرفوا جميعاً متواثقين على أن فى تكذيبه لامامهم سماجة وجلافة ففى اليوم الذى ولى يومهم باكر سيبويه المسجد واستقدم مجالسيه اليه فقدموا وانتظموا حلقة حوله فابتدرهم يقول : أتعلمون ماأقدم بى على مباكرة المسجد ثم استدعائكم اليه جميعا قالوا لا قال تحققت أن العرب تقول تذاءبت الريح وتذأبت فقول الأخفش هو الصواب فاحفظوه . فجل فى عيونهم وزادوا استرسالا اليه بالثقة .

المقالة الثانية

رد الشيخ عبد القادر المغربى[1]

(تأنيث ضوضاء؟ تطاحنوا فى الحرب؟)

أخذ مجمعنا العلمى العربى بدمشق ينشر من وقت إلى آخر مقالات نبهنا فيها إخواننا الكتاب وأرباب الصحف إلى بوادر من الخطأ تعثر بها أقلامهم المرة بعد المرة . وجعلنا عنوانها (عثرات الاقلام) . وقد لقيت هذه المقالات من نفوس القراء نصيبها الذى تستحقه ، ومما ذكرناه فى مقدمتها ان ماننتقده من الخطأ انما ننبه اليه تنبيها . وما كان لنا أن نجبر على تصحيحه إجباراً . وتوخينا فيها أموراً رأينا انها تساعد على ترويجها بين القراء ، وتقريب فوائدها من متناول أذهانهم . فلم نذكر اسم الكاتب ولا الصحيفة ، ولم ننتقد من القول ما كان فيه لصاحبه وجه يتكىء عليه . ولم نعرض للخطأ فى المسائل النحوية ولا لما كان العثار به على سبيل القلة والنزور . ولم نخرج عما قرره علماء اللغة وصرحوا به تصريحا وتجنبنا سرد أقوالهم والاختلافات الواقعة بينهم مما لا يفيد عامة القراء. والتزمنا الاختصار فى الشرح والتعليق والاقتصار منه على بضعة أسطر بحيث لا نكلف القارىء الا أن يقرأ فيفهم موضع الخطأ فيجتنبه فيصبح التحرز منه

---

(١) افتتح صاحب « جريدة الوطن » مقال الأستاذ المغربى بقوله : أرسل الينا المجمع العلمى فى دمشق مقالا ضافياً من إمضاء حضرة الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربى جواباً على ما نشره حضرة الاستاذالشيخ عبد الله البستانى على صفحات الوطن وسنبدأ باثبات ذلك تباعاً من عدد الغد ، ولا شك انهذه المناظرة التى قدح زندها بين الشيخين سيكون لها شأن كبير لدى الادباء على أننا نرجو من الشيخ البستانى ان لا يتحفنا برده قبل الفراغ من نشر رسالة الشيخ المغربى برمتها . اه .

إذا راعاه ملكة له . واستحسنا نشر تلك المقالات فى الصحائف السيارة دون المجلات لأن عامة القراء يتداولونها أكثر مما يتداولون المجلات. بهذا كله راجت مقالال (عثرات الاقلام) لديهم وحسن وقعها فى نفوسهم ولذت ثمرتها فى أذواقهم: فلم نكن نسمع عليها عاتباً . بل فيها راغباً . ولا عنها مثبطاً . بل عليها منشطا. ولا منها شاكيا . بل لها مقابلاً ومحتذيا . وفوق ذلك كله أراحتنا هذه الطريقة من الدخول فى غمار الخلاف والنزاع مع الآخرين لأننا نعتقد أن أكبر آفة فى أمتنا حالت وتحول دون نهوضها هى ضياع الحقيقة بين ظهرانيها . والسبب فى ذلك ان الحقيقة التى سموها « بنت البحث » انما تولد على يد المناظرات . والمناظرات فى بلادنا قوابل لم تتقن فن التوليد . ولم تحرز الشهادة فيه بعد . ومن ثَمَّ نرى هذه البنت المسكينة لا تكاد تقع على أيدى القوابل حتى تموت . وكثيراً ما خلفت بعدها الاحقاد والشرور .

وكنا أحيانا نشعر بأننا تركنا بعض ما التزمناه من الشرائط فى مقالاتنا المذكورة بل حدنا عن الصواب فى بعض ما كتبناه فيها . ولهذا عزمنا ان نحصي عثراتنا التى نتنبه نحن أو ينبهنا غيرنا اليها حتى اذا كثرت نشرناها على حدة :

من ذلك ان بعض الادباء راجعنا فى قولنا إنه لا يجوز حذف (لا) من (لاسيما) محتجاً بقول بعض اللغويين بالجواز فقلنا له ان ابن هشام صرح بأن حذفها خطأ واننا لم نر بعد هذا التصريح من مثل ابن هشام مجالا للقول بالصحة ومع هذا شعرنا فى أنفسنا اننا خالفنا فى انتقاد (سيما) القاعدة التى قررناها وهى ان لا ننتقد قولا يكون لصاحبه وجه فى صحته .

ومن ذلك أيضا تخطئتنا من أنث كلمة (ضوضاء) بدليل ما صرحت به المعاجم من انها مذكر وأن همزتها أصلية ، ثم لاحظنا ان لمن يؤنثها وجهاً وهو قول الحرث بن حلزة اليشكرى فى معلقته . وانها قد تكون مشتقة من (ضوض) لا من (ضأضأ) .

لكن هناك اعتراضاً وجهه الينا بعض فضلاء جبل عامل من اعضاء الشرف في مجمعنا العلمي لا نعرف هل نخالفه فيه أو نوافقه عليه . وسننشر مقاله في مجلة المجمع ليرى القراء فيه رأيهم : فقد اعترض علينا بعدم تجويزنا استعمال كلمة (تطاحنوا) في الحرب ودليلنا انها لم ينطق بها اهل اللسان ودليله هو أنهم – وان لم ينطقوا بها نفسها – نطقوا بمبناها ومعناها . ثم نقل الشواهد على ذلك. فانظروا كيف ان حضرة الفاضل المومأ اليه يريد أن يخرجنا عما التزمناه من التمسك بالنقل والسماع – إلى التوسع وتجويز استعمال كلمة ذات صيغة لم يعرفها أهل اللسان توسيعاً لدائرة التخاطب بلغتنا العربية . وضناً بكلمات كثيرة استعملها الكتاب. ما دام لها طريق إلى الصواب .

وكم كان سروري عظيما مذ قال لي أحد أعضاء المجمع : ان الاستاذ البستاني اللغوي المشهور أخذ يكتب في « جريدة الوطن » تحت عنوان (الشيخ عبد الله البستاني والمجمع العلمي) مقالات يردفها على ما كتبناه في «عثرات الاقلام» فقلت لمن أخبرني نعم ما صنع الاستاذ . ويجب علينا ان نشكر له عنايته بتلك المقالات مذ نظر فيها وعلق عليها . لكن أعتب عليه – وهو عضو شرف في مجمعنا – ان يخرج عن السنن المألوفة في المجامع العلمية فلم يرسل الينا مقاله فننشره في مجلة المجمع كما فعل أخونا الفاضل العاملي . فقالوا ولكن الاستاذ البستاني ليس عضواً في مجمعنا . فأطرقت إذذاك اطراقة الواجم المتعجب . ثم ذكروا لي ان السبب في عدم انتخابه عضواً هو ما ارتآه بعض الاخوان من ان أشغال الاستاذ وشيخوخته قد تحولان دون اجابة سؤلنا [1] . فالاحوط عدم الكتابة اليه .

ولما تصفحنا مقالتي الاستاذ البستاني « المدرجتين في العدد (٧٢) و (٧٣) من جريدة الوطن » وجدناه يستطلع رأي أعضاء مجمعنا في قول الكتاب (حبذ

---

(١) ثم في أول جلسة للمجمع العلمي بعد انتهاء المناظرة اقترح الاستاذ المغربي انتخاب مناظره الاستاذ البستاني عضواً في المجمع فانتخب بالاجماع .

يحبذ تحبيذاً) واستعمال الجرائد كلمة (المواطن) وهو المشارك فى الوطن وكلمتى (الموظف) و (الوظيفة) وغير ذلك ثم قال ما نصه :

« هذا جزء مما يحضرنى من أوهام حملة الاقلام وانى سأعلن بعضاً من سائرها فى زمن أتحينه إن شاء الله . ولن اتصدى إلا لما وهم فيه السواد الاعظم من الكتّاب لاأتجاوزه الى غيره مما يخطىء به الواحد ولا يخطىء الآخر » اه

فأدركنا إذ ذاك السر فى رده علينا وان الاستاذ يريد أن يكتب مقالات تحت عنوان (أوهام حملة الاقلام) ملتزماً ماالتزمناه نحن من الشروط فى (عثرات الاقلام) لكن الاستاذ حفظه الله . وأحسن بالعمر الطويل إليه. لم يسلك مسلك الاديبين (م م ن) و (الشيخ إبراهيم المنذر) فيقلدنا بالعمل من دون نسبتنا إلى الخطل و إنما أراد أن يهدم بناء مقالاتنا (عثرات الاقلام) و يتخذمن انقاضها سلالم يرتقى عليها الى قمة الشهرة واحتكار البراعة فى اللغة العربية .

خفّض عليك ايها الاستاذ المحترم : إنك بحمد الله اشهر من نار على علم . وان أعضاء المجمع العلمى العربى أول من يعترف لك بالفضل والكفاية . لكنهم لا يرضون أبداً أن تنزل بهم الى ميدان من المناقشات اعلنوامن أول الامر أنهم لا يحبون النزول اليه : لا عجزاً يعلم الله عن الجرى فيه أشواطاً وأشواطاً بل لاننا نعلم ان ابناءنا واخواننا محبى اللغة العربية الحراص على اجادة الكتابة فيها انما يريدون الفائدة العاجلة . والثمرة الناضجة . وهم من مشاغل دنياهم وتكاليف حياتهم والنظر فى شعب الفنون العصرية الاخرى بحيث يعجزون عن تقصى ما قاله الاخفش وابن جنى ونفطويه .

***

ولقد سمعت الكثيرين منهم ـ يشهد الله ـ يتأففون مما كتبتموه فى مقالتكم التى ناقشتمونا فيها مذ رأوا أبحاثها لايفهمها إلا صاحبها وطائفة الاخصائيين فى هذه اللغة . على أن الاخصائيين أنفسهم لانظنهم فى حاجة إليها . فلم يبق إذن من فائدة لهذه المقالات سوى هتاف تلامذة الأستاذ إن أستاذنا البستانى

أستاذ كبير فى اللغة العربية وهذا أمر مسلم لاجدال فيه كما قلنا آنفاً .

ولا تعتب علينا أيها الأستاذ إذا قلنا لك إن أسلوبك فى مقالاتك هذه هو هو فى مقالاتك التى كنت تنشرها منذ سنين فى جريدة (الروضة) : فانه لم يزل يشوبه شيء من المعاظلة والتعقيد يحول بين القارىء و بين استشفاف المعنى منه :

من ذلك قولك (وها انا ذا استطلع آراءهم فى بعض مايحضرنى من الكلم التى لاينقلب عن الادمان لنشرها كل كاتب كائنا ما كان) تريد أن تقول إنك ستستشيرهم فيما يحضرك من الكلم التى أولع بها كل كاتب .

وقولك (فلا سبيل الى حضنة العلم من ذلك المجمع عن وضع غيرها مما يسد مكانها فان نفسى لتناسمنى بأن الآمال لايكذبنى رائدها لأنهم سيفعلون) تريد أن تقول لامندوحة لأعضاء المجمع عن وضع كلمات أخرى تسد مسدها و إن نفسى تحدثنى بأنهم فاعلون ، أو وأ كبر ظنى أنهم واضعون ، أو وأنا على ثقة بأنهم سيفعلون الى ماشاء الله من التعابير . ولقد أحسنت أيها الأستاذ فى إحياء كلمة (تناسمنى) و تنبيه الأذهان اليها (ناسمه حادثه وساره) ولكن كلمة (تناسمنى) جاءت خلال الكلمات الأخرى مقطوعة السبب مجهولة النسب كالدرة فى المخشلب . وهناك كلمات و تعابير أخرى أفلتت فى المقالتين كان يصح أن يؤاخذ الأستاذ عليها ونحن لم نشر إليها هذه الاشارة إلا لتذكير الأستاذ بأن الكلام مهما جوده كاتبه وهذب من حواشيه لابد أن يغفل فيه عن موضع نقد ومؤاخذة . ولدلالة الأستاذ أيضاً على أن جمهرة شبابنا أصبحوا اليوم لايطيقون الصبر على قراءة الكتابات المعقدة والأساليب المسلطة فهم يسمونها قديمة (على أن القديم براء منها) وقد أصبحوا مفتونين بكتابة فلان وأسلوب فلانة و يسمونه الأسلوب الافرنجى أو الطريقة الحديثة أو النمط العصرى . فاذا أردنا نحن معشر المشتغلين فى اللغة العربية أن نستميلهم اليها ونرغبهم فى مطالعة أبحاثها كان علينا أن نعمد تواً الى موضع الفائدة منها فنسلك بهم اليه الطريق الأقرب الأوضح و نوردها على أسماعهم بالأسلوب الأسهل الأفصح وإلا ضاعت الفائدة من

اللغة و تبرم أبناؤها أبناؤنا بها بل تبرموا بنا نحن أيضاً مذ يرو ننا مشغولين بما لاطائل تحته من الـكلام عاكفين على عقيم الجدل والخصام .

ثم إننى بعد إنعام النظر فى مقالتيك أيها الأستاذ لم أجد فيهما من فائدة للقراء يمكن استخراجها منهما كما أن السكوت عنهما بالمرة وترك الرد عليهما ـ وقد نشرتا فى الجرائد ـ يوهم بعض الناس أن الأستاذ أتى فى مقالتيه بحقائق ناصعة . وفوائد فى علوم اللغة نافعة ولا سيما أن عدم العناية بكلام الأستاذ لايتفق مع جليل قدره . وجميل ذ كره . لذلك كله حملت نفسى عناء النظر . فيماسطر الأستاذ وحبر . ثم اجتهدت أن أستخرج من طويل كلامه حقيقة ترضى القارى وتـكون كالقمر يهتدى به السارى .

* * *

يمكن تقسيم كلام الاستاذ فى مقالتيه الى ثلاثة أقسام :

(القسم الاول) يتضمن مقدمة أربت على العمودين تـكلم فيها كلاما تارة يبدو أنه عام شامل لـكل متصد للنقد فى اللغة العربية . وتارة يبدو أنه خاص بالمجمع وأعضائه . طوراً يستشف منه التفاؤل بالمجمع وتقريظه على عمله . وآونة يتنسم من خلاله انه متشائم به زار عليه . حقاً اننى لم أهتد الى موضع النقد من تلك المقدمة فأنقده . أو موضع التحبيذ فأحبذه . لـكن مع هذا يفهم من المقدمة بالجملة أن الاستاذ ينسب الى أعضاء المجمع تقصيراً ماكان ينسبه اليهم لوكان قد قرأ مقالات (عثرات الاقلام) كلها أو مقدمتها . من ذلك انه ينصح لنا ان لا ننشر إنتقاداتنا على الـكتاب ولا نتعرض لاوضاع المصطلحات الحديثة ما لم نرجع فى ذلك الى الحرفاء والرصفاء . أما الاوضاع فاننا كما علم القاصى والدانى لم نشرع فيها بعد و إنما نحن نعد لها عدتها ونهىء أدواتها . وقد عينت حكومة دمشق بطلب منا أربعة من الأفاضل للاشتراك معنا فى هذه الاوضاع . وأما انتقاداتنا لعثرات الـكتاب فقد كتبنا منها إلى اليوم نحو (١٢) مقالة كان لها أحسن وقع فى نفوس القراء سوى حضرة الأستاذ على مايظهر فهو يكلفنا شططاً

مذ يريد أن لا نخط من انتقاداتنا حرفاً ما لم نرجع فيه الى حرفائنا المشتغلين في اللغة فكيف يمكننا ـ إذا رأينا خطأ في صحيفة ـ ان نرسله إلى غيرنا نستشيره ثم بعدذلك ننشره . ونحن على يقين انه خطأ مذ الساعة . أترى إذا كتب حضرة الأستاذ غداً مقالته (اوهام حملة الاقلام) يستشير أحداً منا أو من غيرنا ؟ أو يكتب مابدا له من دون مراجعة ؟ وكيف لا يجوز لمجموع أعضاء المجمع ان ينقدوا جملة مالم يرجعوا إلى غيرهم . ويجوز هذا لحضرة الأستاذ فيستبد في انتقاد غيره ؟ ونصح لنا أيضاً ان لا نخطىء الكتاب إذا رفعوا المنصوب أو نصبوا المخفوض او إذا هفوا هفوة لا تخفى على أحد . ولكننا كما ذكرنا في فاتحة هذا المقال التزمنا ان لا نؤاخذ أحداً بماذكر الاستاذ. فما معنى هذا الادلاء بالنصيحة. إلى من لم يرتكب قبيحة . ونصح لنا ان لا نشهر أحداً في آفاق الارض على هفوته . ونحن يعلم الله لم نفعل ذلك ولم نصرح باسم احد ممن نقدنا قوله . ولعل الاستاذ قرأ مقالات الكاتب البيروتي التي نشرها تحت عنوان مقالاتنا وقد صرح فيها بأسماء من نقدهم من الكتاب فظن الاستاذ اننا نحن الذين صرحوا بذلك في مقالتهم . فليسمع اصحاب تلك المقالات الذين انتحلوا عنواننا .

(القسم الثاني) تلطف الاستاذ في هذا القسم من مقالتيه أو تنزل فاستطلع رأينا في كلمات يستعملها الكتاب على ظن انها عربية فصيحة مع انها دخيلة في اللغة لم يعرفها العرب . وهذه الكلمات هي :

مشتقات (حبذا) إذ يقال حبذ يحبذ تحبيذاً ، وكلمة المواطن بمعنى الشريك في الوطن و (اعمدة الجرائد) و (العدد) بمعنى النسخة من الجريدة . و (الموظف) و (الوظيفة) . ومن الاساليب قولهم (فلان رجل بكل معنى الكلمة) قال الاستاذ كل هذا لم يقله العرب . وانما استعمله المولدون وادخلوه في اللغة العربية . وأجيب على هذا بأن اخواني في المجمع على رأيك ايها الاستاذ من حيث التمسك بنصوص اللغويين وعدم الحيدودة عنها قيد شعرة إذ لا يجيزون كلمة ما إذا كانت دخيلة أو اعجمية مالم يجدوا نصها في كلام أئمة اللغة فهم من هذا القبيل كما تحب وترضى.

واظنهم لا يجيزون استعمال ما ذكرت من الكلمات بل يعدونه من عثرات اقلام الكتاب التى يجب تنبيههم اليها . ومثل هذه الكلمات كل كلمة اعجمية شاعت اليوم بيننا فهم يرفضون قبولها ويبحثون عن أخرى سواها من اللغة العربية يقوم مقامها حتى إذا لم يجدوا قبلوا الأعجمية لكن بعد إفراغها فى القوالب العربية . هذا رأى رفاق ورأى الكثيرين . أما رأيى فى امثال تلك الكلمات فهو غير رأيهم : لأنى لا أرى مانعاً يمنع من استعمال المعرب أو الدخيل إذا شاع . وألفته الاسماع . وخف على الطباع . فانه إذذاك يصبح عربياً بشرط ان يستوفى الشرائط التى ذكرها علماء البلاغة فى فصاحة المفرد . فكلمة (حبذ يحبذ تحبيذاً) أصبحت عربية فصيحة كطرز يطرز تطريزاً وهندز يهندز هندزة . وكذلك بقية الكلمات وقد شرحت رأيى هذا فى كتاب خاص سميته (الاشتقاق والتعريب) طبع فى مصر سنة ١٩٠٨ م ولعلكم لم تطلعوا عليه فأنا مرسل إليكم بنسخة منه فى البريد هدية مقبولة إن شاء الله .

وقد اطلعت منذ أيام على كتاب معرب بقلم كاتب من أشهر كتاب مصر اليوم أو هو أشهرهم على الاطلاق . فرأيت فيه كلمات وتراكيب دخيلة ما كنت احسب أن يجرى بها قلمه . وقد أراد أعضاء مجمعنا ان يعدوها من عثرات قلمه وينبهوا إليها ، لكنى ضننت بها عن هذا الموقف وخبأتها للاستشهاد بها على صحة رأيى وهو وجوب التسامح فى الكلمات الدخيلة : من ذلك قوله (فى وجهه خدش بسيط لا أهمية له) (مفلوكون) (يتفرجون) (احراش) الخ .

وننتقل إلى القسم الثالث وهو المقصد من مقالتى الاستاذ :

(القسم الثالث) يتضمن نقد الاستاذ لنا فى أشياء وردت فى مقالتين اطلع عليهما من (عثرات الاقلام) وهذا كلامه مفرغا فى قالب مختصر يفهمه القراء :

(١) قلنا نحن انه لايجوز أن يقال (مداخلة انكلترا مع اليونان) وان الصواب ان يقال (مداخلة انكلترا فى أمور اليونان) فلم يخطئنا الاستاذ فى ذلك بل انتقل بنا إلى شىء آخر وهو أن (المداخلة) فعلٌ متعد لابد له من مفعول . فكان اللازم

ان نقول (مداخلة انكلترا لليونان فى أمورها) ولـكن ألا يجوز حذف المفعول به اختصاراً أواقتصاراً ولاسيما إذا كان سياق الكلام يدل عليه. وهنا كلمة (اليونان) محذوفة دل عليها إعادتها أخيراً بلفظها مكان الضمير .

(٢) قلنا ان (فعل تأكد) لازم إذ يقال تأكد الامر إذا ثبت وتحقق فقولهم « تأكدت الامر » خطأ . فلم ينكر الاستاذ ذلك علينا لـكنه انكر قولنا « فعل تأكد » باضافة كلمة فعل الى « تأكد » إذ هو من اضافة الشيء الى نفسه.

وقبل ان نقول له ان هذا من قبيل الاضافة البيانية : فـكما يعطف الشيء على نفسه للبيان يضاف إلى الـكلمة مرادفها للبيان ـ أجابنا بأن هذا من تمحل النحاة . فكيف لا يقتنع الاستاذ بصحة هذا التركيب وهذه كتب اللغة والنحو والصرف ملأى بقولهم (كلمة من حرف جر) (فعل ذهب ثلاثى) (فعل ضرب متعد) (جملة جاء زيد فعلية) الخ والـكتب الاسلامية ملأى بقولهم (كلمة لا إلـه الا الله من فضائلها كيت وكيت) فانصفونا أيها القراء . وخاصة تلامذة الاستاذ الاذكياء . وانظروا كيف يقع ما ترجونه من نمو اللغة العربية ومجاراتها للغات الأوربية . والاستاذ يريد ان يضيقها الى هذا الحد . وقد لامنا ايضاً فى (مسألة تأكد) على أمر ظاهر عنا عاره . لا يعلق بناغباره . ولا نرى ان نحرج صدر القارىء بذكره فليرجع اليه ان شاء ، وكل ما فى الأمر أننا سكتنا فى مقالاتنا عن تفصيل بعض المسائل تجنباً للتطويل الذى يمله القراء . فاستنبط الأستاذ من سكوتنا منطوقاً قال إنه لازم من كلامنا أو لازم اللازم فهو يؤاخذنا عليه .

(٣) قلنا إن « برهة » هى الزمن الطويل وان إرادة الوقت القصير منها خطأ واستشهدنا على ذلك بعبارة أقرب الموارد . فقال الأستاذ إنه لا نزاع فى ذلك لـكن النزاع فى عبارة اقرب الموارد التى تشعر بأنه قد يشتق من كلمة (برهة) فعل فيقال (بره) إذا أتت عليه برهة طويلة . وليس الأمر كـذلك .

هذا ما قاله الأستاذ فى انتقاد عبارة صاحب أقرب الموارد التى اقتبسناها منه ولو تأمل قليلا لفطن إلى انه لا ينبغى ان يجمع بين مثل هذا الانتقاد وبين

قوله فى مقالته هذه (فما من السهل أن يشهر ـ أى الكاتب ـ بهفوته فى آفاق الارض فان زمن إنشائه لكل مقال فى صحيفته يكاد يكون اقصر من لحس الهر لانفه ؟؟) تقول هذا القول ايها الأستاذ ثم تصرح باسم كاتب أخطأ وتشهره تشهيرا ؟!!

(٤) انتقدنا كلمة « منتزه » بتقديم النون وقلنا ان صوابه « متنزه » بتقديم التاء ، وانتقدنا قولهم « إن فى الدار محلا للغسيل » وقلنا إن صوابه « للغسل » فلم يذكر الأستاذ ماقلنا . وإنما علق عليه تعليقاً لم نقدر أن نستخرج منه فائدة طائلة . اللهم سوى قوله إنه يستحسن هو أن تستعمل كلمة « تنسم » ومعناها « طلب النسيم واستنشقه » مكان قولهم « تنزه وشم الهواء » ونحن نوافقه على هذه الكلمة ونشكر له إحياءها والتنبيه إليها .

(٥) قلنا إن صواب «العنابر» أنابر بالهمزة وهى جمع (أنبار) فقال الاستاذ صوابه « أنابير » يعنى بزيادة الياء وقد نقل « أنابر » من دون ياء صاحب أقرب الموارد أيضاً . على اننا قلما نثبت كلمة مالم نراجعها فى كل المعاجم أو معظمها : فاذا كنا لم نر «أنابر» فى تلك المعاجم كان حذف الياء منها فى مقالنا مما سها عنه مرتبو الحروف ثم سهونا نحن عن تصحيحه . أليس أن الأستاذ نفسه قد سها عن تصحيح « أظابير » بالظاء المشالة مذ استشهد بقول الاساس « عنده من الثياب أظابير ومن الطعام أنابير » مع ان صوابه « أضابير » بالضاد . فنحن لا نغلط الأستاذ ولا غيره بمثل هذا لاعتقادنا أنه سبق قلم أو غلط مطبعى . ومثل ذلك قولنا (قلب همزة أنابير عينا خطأ) فقد عد الاستاذ هذا تسامحا منا : إذ ينبغى ان يقال « إبدال » مكان « قلب » وكان يمكننا أن نناقشه فيه لكن رأينا الامر فيه سهلا فتركناه كما تركنا غيره .

وفى الختام نقول إنه لايمنع حذر من قدر : فقد كنا اعلنا فى فاتحة مقالاتنا (عثرات الاقلام) أننا لانمهد الطريق إلى حصول مناقشات بيننا وبين الكتاب أو القراء خشية الانصراف عما اليه قصدنا من تحقيق الفائدة ونشرها . ولكن أبى الاستاذ إلا الدخول فى هذه المآزق للاغراض التى ذكرناها وإذا أراد أن

يعرف القارئ الملول . أو الطالب العجول خلاصة ما كتبه الاستاذ فى مقالتيه هاتين نقول له إن مايمكن ان يستفاد منهما يرجع الى أمرين « الاول » ان الأستاذ سيكتب مقالات مسهبة فى نقد « أوهام حملة الاقلام » فتهيأ لقراءتها ايها القارئ . « والثانى » أنه لم يشتق فعل من كلمة « برهة » .

هذه هى الحقيقة أو بنت البحث التى ولدتها مقالة الأستاذ العميد . ونحن فى انتظار الغد لنرى مايلد مقاله العتيد .

المقالة الثالثة

للأستاذ البستانى

(أخصى ؟ وهو إخصائى ؟)

ايها الاستاذ [١] :

طالما تعهدت بنظرى إماماً من اقطاب أهل العلم يحبب إلى الانقطاع إلى التأدب بآدابه الرائعة والاغتنام من شمائله الاخلاق الكريمة . وكنت أخاف أن يضل رائد توفيق وتتصرم حبال آمالى ومع ذلك فلم تقعد همتى عن السعى واصلا صباحى بمسائى الى ان تيمنت بمقالتك التى تنهمر منها البلاغة انهمار السيل الى مطمئن الارض . فدلنى ما فيها من الحكم وجوامع الكلم على ان قائلها يرى بعين عقله ابعد مما يرى غيره بعين رأسه ، فلم اتماسك حينئذ عن التصفيق قائلا اليوم أرفه عن نفسى بلقاء ضالتى المنشودة وما ضالتى إلا أنت الذى سأذكر بالغدو والآصال نعمة الله فيه ولن التمس سواك مؤدبا مادمت لا تسرع إلى بادرة تجد لك عنها مذهبا لأن مثلك يعلم أن الوقار أبقى على المرء من الحدة وأن الخنق غـول الموادعة . فقبل أن أباشر التحصيل عليك أرغب اليك فى ان تأذن لى أن استفهمك شيئاً احسب أن ضميرك لايطويه عن لسان يراعتك وهو أنى رأيت المقالة مزدانة باسمك الكريم مع أن المجمع العلمى لم يدع قبلها فى الصحف كلاماً مذيلا باسم أحد من اعضائه . فعلامَ لم يقعدك تحت هذا الحكم وأنت الحر الذى لا يقطع امره دون أهل المشورة ؟ فقد ملأ الاسماع انه رأى أن نشر مقالتك لايشاكل جميل مذهبه فهالأ أدباؤه البعيدو النظر أن يسدل عليها ستار الكتم يقين أن ذلك احمد فى العاقبة وأجمل فى الاحدوثة . أما أنت فلم تنزل على حكم أحد منهم زاعماً ان بنشرها محمدة ترويها ألسنة الثناء على تراخى الحقب . فلكوك أمرك تجرى على وتيرتك فانبريت إلى نشر هذه الطرفة فجاءت والحمد

---

(١) يريد الاستاذ المغربى .

لله غير ثقيلة على الاسماع ولا ذات فجاجة على الاذواق . فذلك ما تحدث به ذوو البصائر النافذة ممن ثبتت مهابة المجمع العلمى فى صدورهم ذهاباً الى ان أعيانه لايأتون غير ما يضارع الرجاء فيهم جميعاً وقام فى أذهان السواد من المتأدبين انك وحدك الناقد لكلام الجرائد والواضع لنقدك اسما معروفاً عندك لا عند غيرك بعثرات الاقلام فاندفعت مذ الآن أعقدنيتى على التلطف لرغائبى منك لامن المجمع العلمى آخذاً بيدك كما عرضت لنظرى عثرة من عثراتك البينة. ولاأتثاقل عن ذلك ما دمت لى شيخاً أتلقن منه علماً غريباً فاليك منى طالبا مجداً لا يسترسل الى الراحة ولايخلد إلى العطلة بل تراه عمولا نافذ الهمة وإن تداعى جرف شبابه . وسيطبع على صفحةذهنهما يتلقنهعن شيخهمن كلام يفعل بالالباب فعل الحميا . فأنزع اليك بآمالى أن تؤازرنى برضاك عنى لأتمكن من التخرج عليك ثابت الجنان طويل الأناة وبعد ذلك ترانى ناهجاً على منهاجك بكلام لا أعاظل به ولا أعسلط بل آتيك به مطرد النظام مأنوسا تسكن به قلوب من سمعتهم يتأففون ورقيقاً ترق لقائله أكباد من رأيتهم يتبرمون . والآن أبدأ بتحصيل اللغة عليك مستجليا بنور علمك غوامضها وممحصاً بنار صريمتك حقائقهاوآخذاً عنك أدب المناظرة وإثبات الرأى بالدليل الفاصل وظنى بك أنك تعاضدنى على إدارك رغائبى . وعليك بعد الله أعتمد .

***

عزمت عليك أيها الأستاذ لتخبرنى ماالذى سول لك الولوع باستعمال التحبيذ ومايشتق منه فانى أتوقع منك أن تجلل يراعتك عنه ولا تدعها ترقم لهحروفا فأنت وإن تكن واسع الاطلاع ومحيطاًعلماً بكل نادرة قد تجهل حقيقةوضعه ومقام واضعه من الريبة والدعارة فلودريت جل المسألةودقها لجاهرت بلعن المحبذ وأعرضت عن استعمال التحبيذ ندىً الجبين وعلمت المثير لدفينةهذا السر على وجوه الصحائف ليس رقيق الوجه حشما . وكأنى بك تتأفف قائلا عمّى فلان علينا وجه الأمر وأما أنا فأقول لك ستدرى ولاريب أن الأمر أبين من نورالشمس فى ريعان ضحاها .

وقد دخل فى علمك أيها الأستاذ أنى شددت فى مقالتى الأولى على معظم الكتاب نكيراً لوضعهم المواطن فى موضع الوطنى يقين أنه لم يسمع فانبريت الى تخطئتى قائلا إن المواطن هو الشريك فى الوطن زاعماً أن هذا التفسير لامساغ فيه للشبهة ولا حاجة بعده الى الأدلة اللوامع فما هذا العمل عملك بل هو عمل قلمك الذى تعودت أن تفرطه عنانه فما قدرت أن مثل الأستاذ يترك يراعه يأخذ كل مرة فى طريق غير طريقه . فلأى أمر تتظاهر أن التحقيق لم يصل اليه علمك وأنت المستبطن لدخائل اللغة . أرأيت صرفياً محققاً غيرك يفسر المواطن بالشريك فى الوطن فلو جاز لك أن تقول واطنت زيداً أى شاركته فى الوطن جاز لغيرك أن يقول بالدت زيداً أى شاركته فى البلد وفارسته أى شاركته فى الفرس وباغلته أى شاركته فى البغل . فالمشاركة التى يعنيها الصرفيون فى فاعل وتفاعل هى غير المشاركة التى تريدها أنت أيها العلامة الكبير . وإيضاحاً للأمر أرفع الى الاستاذ مافهمته من فاعل الدال على المشاركة يوم كنت فى المدرسة وقد انقطع من عمرى وقتئذ خمس عشرة سنة وهوهذا : فاعل موضوع لأن ينسب مصدر فعله الثلاثى الى أحد أمرين و يقع على الآخر صريحاً بأن يكون الأمر الأول مرفوعاً والثانى منصوبا فيجىء العكس ضمناً نحو ضارب زيد عمراً فزيدمرفوع صريحاً ومنصوب ضمناً وعمراً منصوب صريحاً ومرفوع ضمناً فالمشاركة واقعة بينهما لأن كل واحد فاعل من وجه ومفعول من وجه آخر .

ومما أنكره على الأستاذ أنه يبيح لنفسه ماينكره على غيره فانه خطأ الكتاب لاستعمالهم « تطاحنوا فى الحرب » بحجة أن العرب لم ينطقوا به فاحتج عليه أحد الأدباء فى جبل عامل بأن لذلك وجهاً يجيز استعماله و إن لم ينطق به العرب فسفه الأستاذ رأى العاملى قائلا « فانظروا كيف أن حضرة الفاضل المومإ اليه يريد أن يخرجنا عما التزمناه من التمسك بالنقل والسماع الى التوسع وتجويز استعمال كلمة ذات صيغة لم يعرفها أهل اللسان (كذا) اه .

أترى أيها الاستاذ أن من العدل أن تقطع على غيرك مذهبه وتلزمه أن

يخليك وما تشاء بيد أني أستحفظك سراً أرغب اليك في أن يظل في صدرك بأمانة الله وهو أني أشايع الأديب العاملي على رأيه في تطاحنوا وإن لم تذكره المعاجم ولا أجاريك في واطن وما اليه ذهبت فاذا قلبت نظرك في ثلاثي كل من الفعلين ومشتقاته كنت من استعمال التطاحن على اليقين الجازم. وسيخرجك من عهدة ماتقول كلام لسيبويه عقبه بقوله «وعليك بالنظائر» مؤيداً بقول ابن كلثوم:

متى ننقلْ الى قوم رَحانا   يكونوا في اللقاء لها طَحينا

فان كان الأستاذ يرى في هذا الكلام شبهة وغموضاً فانه متخصص للغة وله من أنوار علمه مايزيل الشبهات ويجلو الغوامض .

* * *

وفي هذا المقام يبيح لي الأستاذ أن أجيب أديباً سألني معنى قولي في مقالتي الأولى « شدة الهمزة أحدثت قوة في الفعل كما أن رخاوة النون أحدثت ضعفاً فيه » فأقول أيها الأديب :

لايخفى عليك أن من الحروف العربية مايسمونه بالشديد وهو مايمنع الصوت أو النفَس من الجرى فيه اذا لفظته ساكناً وأنت مستعين بحرف قبله . ومنها مايسمونه بالرخو وهو مايجرى النفس فيه اذا لفظته ساكناً مستعيناً بحرف قبله فاذا لفظت « أأ » و« أن » رأيت أن الصوت ينقطع على الهمزة ولا ينقطع على النون فالأحرف الشديدة هي : الهمزة والقاف والكاف والطاء والتاء والدال والباء . والحروف الرخوة هي الهاء والحاء والخاء والغين والشين والصاد والضاد والزاي والسين والظاء والثاء والذال والفاء . فاذا تعاقب في كلمة حرفان أحدهما شديد والآخر رخو كان معنى مافيه الحرف الشديد زائداً على معنى مافيه الحرف الرخو أو أشد معنى منه وذلك كقولك واطنته على هذا الأمر وواطأته عليه فتقول واطنته اذا أضمرت في نفسك أن تفعله معه وتقول واطأته اذا فعلته موافقاً له . ومن ذلك التصفيق والتصفيح فمعنى كل منهما الضرب بباطن الكف اليمنى على باطن الكف اليسرى وإخراج الصوت من بينهما غير أن صوت التصفيق أقوى من صوت

التصفيح لشدة القاف ورخاوة الحاء ولذلك قال بعضهم التصفيق للرجال والتصفيح للنساء.

ومنه الودق والودف فالودق القطر من السحاب والودف القطر من الاناء.

ومنه النهود والنهوض فالنهوض قيام عن قعود فقط والنهود قيام على كل حال.

ومنه البرى والثرى فالبرى التراب اليابس وغيره ، والثرى التراب الندى.

ومنه الأش وهو الخبز اليابس ، والهش وهو الخبز الرخو.

ومنه الكسوف وهو ذهاب نور الشمس و إظلامها ، والخسوف وهو ذهاب نور القمر و إظلامه.

ومنه الفصع وهودلك الشيء بالأصبعين ليلين ، والقصع وهو دلكه بالظفر.

ومنه الأجة وهي شدة الحر وسكون الريح ، والأكة وهي الحر المحتدم الذى لاريح فيه.

ومنه كبن الهدية وصبنها أى كفها ومنعها غير أنه يقال كبن الهدية عن معارفه وجيرانه إلى غيرهم ، وصبنها عن معارفك وجيرانك إلى غيرهم.

و يقال هش و بش فان كلا منهما بمعنى فرح إلا أن الهاش لايظهر على وجهه أثر يدل على الهشاشة بخلاف الباش فانه يكون طلق الوجه عند ما يخف للمعروف لأنه من البشيش وهو الوجه.

* * *

ومنه كب الاناء وصب الشراب من الاناء فاذا كب الاناء لم يبق فيه من الشراب بقية لأن الكب قلب الاناء على وجهه ومن ذلك يقال كببته لوجهه أى صرعته واذا صب الشراب من الاناء فقد يبقى فيه منه بقية يقال لها الصبة أو الصبابة فاذا شربها الرجل قال تصابيت الشراب أى شربت صبابته و يقال كفحته وصفحته. قال الازهرى كفحته بالعصا والسيف إذا ضربته بهما مواجهة. وصفحته إذا ضربته بصفح السيف أى بعرضه. هذا قليل من كثير فكفى بك ايها الاديب أن تقيس على هذه المثل غيرها بعد أن تستبطن الحروف التى ذكرتها لك وأنت لا تحتاج إلى أن يغالى لك فى إبراز الدخائل فان مرهف الذهن له مندوحة بالرمز عن العبارة ودعنى الآن أنصرف عنك إلى أستاذى اللغوى فانه

على حبل انتظارى وليس من محمود الافعال ان اتراخى عن الاياب اليه فانه وجهة آمالى.

عود : حياك الله ايها الاستاذ لقد قطعتنى عنك محادثة الاديب هنيهة أراك حسبتها ردحاً من الدهر لأنك مولع بمماتنتى ومماراتى خيفة ان تسفل منزلتى ان كنت حائلا عن ألفتك فأعوذ بالله من الاعراض عن مؤانستك وأنت المتطول على ابن أنسك بانتشار السمعة والنباهة . فاعلم غير مأمور أنى متوقع بمناظرتك ذكراً يجوب بريًا صيتك كل آفاق الارض .

قلت رعاك الله إنك سمعت الناس يتأففون عند قراءتهم لمقالى لان كلامى لا يفهمه الا صاحبه وطائفة الاخصائيين فى اللغة . وقلت أيضاً ان أسلوبى يشوبه شىء من المعاظلة ثم قلت إنه من الاساليب المعسلطة .

أقول إن الادباء ارتاحوا كلهم إلى قراءة كلامك ولم يتبرم احد منهم ولم يتأفف بل كانوا يستغربون ويقهقهون حتى انهم كادوا لفرط البهجة يترنحون الا انهم أغلظوا عليك الملام لانك لم تؤيد كلامك بالبينات القواطع فدار حينئذ فى خاطرى أنك وأنت فى بلد سحيق تستنيبنى عنك فانقدت لك مطيعا مذعانا فهاك منى نائبا أميناً :

تقول حفظك الله ان كلامى لا يفهمه إلا صاحبه وطائفة الاخصائيين . أقول تدبرت هذا القول ملياً فلم افهمه وأظن ان قائله لا يفهمه هو عينه ولا أحد من المتخصصين وذلك ان الاخصائيين جمع لاخصائى والاخصائى منسوب الى الاخصاء وهو جمع لا ينسب اليه وواحده خصيص وخصيص لفظ مهمل لا معنى له ومالا معنى له لا يفهم . واما قول الرقعمق :

اصحابنا قصدوا الصبوح بسحرة ۞ وأتى رسولهم الىَّ خصيصا

فخصيص منه غلط مطبعى صوابه خصوص . راجع معاهد التنصيص فى باب المشاكلة .

وقلت أيها الأستاذ إنى أعسلط فى كلامى وأعاظل . أقول لا تجهل أن الكلام المعسلط هو مالا نظام له بل ترى كل جزء من أجزائه فى غير موضعه فقولك « فعل تأكد لازم وفعل ضرب متعد » كلام معسلط . فاذا أردتَ إزالة العسلطة منه لزمك أن تقول تأكد فعل لازم وضرب فعل متعد . وأما قولك (كتب

اللغة والنحو والصرف ملأى بقولهم « كذا » كلمة من حرف جر الخ . وفعل ذهب لازم وفعل ضرب متعد وكلمة لا إله إلا الله من فضائلها كيت وكيت) فدال على أن قلمك اذا ركب هواه لم تستطع كبحه وكف عاديته . أعوذ بالله من إطلاق العنان لقلم يظل جموحاً فان أسفار الثقات أيها الفاضل تنكر ما إليه ذهبت فاذا كانت الكتب التي تعنيها بعض ما صنفه للصبية الاحداث فريق من الزمن الأخير فنعم الحجة حجتك الدامغة ولا أخفى عليك أني رأيت التعابير المسلطة منتشرة في كتابك الفخم انتشار الجراد في الروض الخصيب ومن غرائبها قولك « فمصدر ضرب ، باسكان الراء ، يتحول الى ضرب الخ » فما ضرك لو قلت : فضرب مصدر يتحول الى ضرب الخ . . فرغبتي في الأستاذ الفاضل أن لا يضعف فيه رجائي فقد هجس في صدري أنه لا يقول ، بعد معرفته أن أقسام الكلمة اسم وفعل وحرف فقط ، اسم مفتاح آلة بل يقول مفتاح اسم آلة ولا يقول : فعل ذهب ماض بل ذهب فعل ماض ولا يقول : فعل يذهب مضارع بل يذهب فعل مضارع ولا يقول : حرف هل مستفهم بل هل حرف استفهام ولا لكن حرف مستدرك بل لكن حرف استدراك . وأما كلمة وجملة ولفظة ولفظ فليست من أقسام الكلمة وإني سأقرأ أحكاماً لها في مقالة تعقب يا أستاذي الفاضل عليّ بها بعد قراءتك هذه الطفيلية وذلك أمر لا يقصر عنه باعك وأنت الغواص على الحقائق . وأما المعاظلة فأشنعها تتابع الاضافات كقولك أيها الأستاذ « وهذا ما قاله الأستاذ في انتقاد عبارة صاحب الموارد » فهذه المعاظلة اشنع من التي مثل بها البيانيون في قول الشاعر :

حمامةَ جرعَى حَومةِ الجندلِ اسجعى فأنتِ بمرأىً من سعادَ ومسمع

فالاضافات المتوالية في كلامك أيها الأستاذ أربع وأما التي في قول الشاعر فثلاث ومع ذلك فان الشاعر يبلغ منه التصرف في كلامه جهداً جهيداً لأن مقام التصرف في كلام الشعر ضيق وأما الناثر فمقام كلامه واسع وله مندوحة عن ارتكاب الضرورة .

* * *

تقول أيها الأستاذ فى مقالتك البليغة إن إضافة فعل لتأكد يقال لها الاضافة البيانية . ناشدتك الله لتهدينى الى الكتاب الذى ينص عليها فقد انقطع من عمرى ثمانى وستون سنة لم اسمع فيها شيئاً عن هذه الاضافة . وقلت أيضاً « لأرى مانعاً من استعمال المعرب أو الدخيل اذا شاع وألفته الاسماع وخف على الطباع » فنعم القول ماقلته . لكنك أفسدته بقولك بعده « فانه إذ ذاك يصبح عربياً بشرط أن يستوفى الشرائط التى ذكرها علماء البلاغة فى فصاحة المفرد » فكأنك تقول إن المعرب وإن شاع وألفته الاسماع لايجوز استعماله إلا اذا كان فصيحاً فليست الفصاحة فى الدخيل شرطاً لصحة استعماله ثم قلت «حبذ أصبحت فصيحة كطرز يطرز تطريزاً وهندز يهندز هندزة» أقول ليست حبذ لفظة فارسية أو هندية مثلا بل هى عربية وليس فيها شائبة من الشوائب فهى فصيحة ومع ذلك فلا يصح استعمالها . وأما طرز وهندز فالأولى منهما صارت عربية لأنها خضعت لاحكام اللغة وأما الثانية فان لغة العرب لاتقر بعربيتها وإن شاع استعمالها عند العرب فهى لاتزال فارسية لانها لم تخضع لاحكام الاوضاع العربية فاذا اردت تعريبها فقل هندس بالسين ناهجاً منهج الذين تقدمهم فيما يعربون ولا تقل هندز لان الزاى لاتقع أبداً بعد الدال فى كلمة عربية كما أن الشين لاتقع بعد اللام فى كلام العرب . وهنا خطر لى أن أستصبح بكتابك (الاشتقاق والتعريب) وهو الكتاب النفيس الذى تطولت باهدائه الىَّ دليلا على طيب إعراقك ونبالة مقصدك فلك بذلك علىَّ يد لاينقضى شكرها .

رأيت فى كتابك أيها الصديق الأبر أشياء أود لو لم تكن فيه فأحسبك ألفته على حد عجلة . فأنى أنقل عنه حكما من احكامه فى الاشتقاق لا اتعداه .

قلت فيه ايها الفاضل « فليس لك ان تشتق من كلمة الحصى الجامدة فعلا كاستحجر ولا من كلمة سهم سهمه ولا من كلمة رجل رجله تعنى رماه بالسهم وأصاب رجله » لقد تسرعت فى الحكم . فانك تشق من الحصاة فعلا كما شققت من الحجر وتشق من السهم كما شققت من الرمح وتشق من الرجل كما شققت من

الرأس وذلك كله قياسى لاسماعى كما نصصت فانك تقول من الحصى حصاه اذا رماه بالحصاة وتقول منها أيضاً أحصيته اذا عددته و إحصاء النفوس فى هذه الآونة لامغمز فيه . وأنت خبير بأن معظم العرب لم يكونوا فى إبان جاهليتهم يعرفون الحساب فكان البدوى منهم يعد نياقه بالحصى فاذا أراد تسريحها صباحاً الى المرعى يقف على باب الحظيرة وفى يده مخلاة فيأمر بالراعى أن يخرج ناقة فناقة فكلما خرجت واحدة وضع رب النياق حصاة فى المخلاة يمارس ذلك الى أن تخرج النياق جميعاً ومتى آب الراعى بها وقف البدوى على باب الحظيرة والمخلاة فى يده فكلما دخلت الى الحظيرة ناقة رمى حصاة من المخلاة الى أن تدخل كلها . فاذا تساوت الحصى والنياق نعم باله و إلا سلط على الراعى بأس نقمته . فوضع الاحصاء فى بادىء الامر للنياق ثم أطلق عليها وعلى غيرها وكثرة الاستعمال أصارته حقيقة عرفية .

وتقول سهمه أى رماه بالسهم كما تقول نبله اذا رماه بالنبل وتقول رمحه أى طعنه بالرمح . وسافه اذا ضربه بالسيف ، وقضبه اذا ضربه بالقضيب ، وعصاه اذا ضربه بالعصا . وهراه اذا ضربه بالهراوة وفأسه اذا ضربه بالفأس . ويقولون رجله اذا أصاب رجله كما تقول رأسه اذا أصاب رأسه . ودمغه اذا أصاب دماغه . وأفخه اذا أصاب يأفوخه . وصدغه اذا أصاب صدغه . وجبهه اذا صك جبهته . ووجهه اذا أصاب وجهه . وشفهه اذا أصاب شفته . وقذله اذا ضرب قذاله . وأنفه اذا ضرب أنفه . وأذنه اذا ضرب أذنه . وذقنه اذا ضرب ذقنه . وحلقه اذا أصاب حلقه . وكتفه اذا أصاب كتفه . وقتله اذا أصاب قتاله أو مقتله . وصدره اذا أصاب صدره . و بطنه اذا أصاب بطنه . وظهره اذا أصاب ظهره . وقلبه اذا أصاب قلبه . وفأده اذا أصاب فؤاده . وكبده اذا أصاب كبده . وطحله اذا أصاب طحاله : وفخذه اذا أصاب فخذه .

فما قولك يامولاى الأستاذ الفاضل بعد أن تطفلت عليك بايراد ما أوردت أتستمر زاعماً أن الاشتقاق من الرجل غير مسموع فللرجل أسوة باليد فانه يقال يداه اذا أصاب يده .

* * *

ويقولون أيضاً رجل وزان علم وترجل وكلاهما بمعنى مشى على رجليه . ويشتقون ارتجل الشعر من الرجل وذلك أن ينظم الشاعر الشعر من غير أن يهيئه فكأنى بغيرك يستغرب اشتقاق ارتجال الشعر من الرجل وأما أنت فانك خبير بأن العرب كانوا يتقارضون فى البادية الشعر ويتماتنون فيه فيقوم الشاعر قبالة الشاعر ويتباريان بأن يرفع كل رجله اليمنى على ركبة رجله اليسرى ويبتده الشعر فان أتمه قبل انزاله رجله الى الارض قيل ارتجل الشعر أى قاله وهو قائم على رجل واحدة .

وقلت أيها الاستاذ إنى انتقدت عبارة أقرب الموارد وهى على زعمك « بره اذا أتت عليه برهة طويلة » (كذا) وقلت إنك استشهدت بها . فأبح لى أن أنكر عليك هذا القول وان ساءك إنكاره فلم يتمثل فى نفسى أن قلمك يعتاص عليك فى كل ماتريد فانى ناقل لك قولك الذى صرحت به بالحرف الواحد وهو هذا « فلبثوا هناك برهة من الزمن يعنون به وقتاً قصيراً مع أن البرهة هى الوقت الطويل قال الصحاح بره أتت عليه برهة من الدهر أى مدة طويلة من الزمن » اه .

أرأيت أعزك الله أحداً من الناس يتوهم أن قولك قال الصحاح معناه قال أقرب الموارد . وأما قولك إنى انتقدت عبارة أقرب الموارد فأعارضه بما قلته فى مقالتى الأولى وهو : ومن غرائب الاتفاق ان المأسوف عليه صاحب أقرب الموارد اشتبهت عليه هذه اللفظة كما اشتبهت على الناقد . وعلى أثر هذا القول أحلت علىّ بالملام قائلاً لاينبغى أن يجمع بين مثل هذا الانتقاد وبين (كذا) قوله فى مقالته هذه « فما من العدل أن يشهر الكاتب بهفوة فى آفاق الأرض فان زمن إنشائه لكل مقال فى صحيفته يكاد يكون أقصر من لحس الهر لأنفه » تريد أن تقول انى أنهى عن تخطئة كاتب ثم أنبرى إلى تخطئة آخر وأشهره تشهيراً . أيروقك أن ينزه عن العذل مؤلف معجم فى اللغة كما ينزه عنه كاتب الجريدة فالمعجم مرجع أرباب الأقلام جميعاً وهو الحجة التى يستند اليها طلبة العلم فاذا تضمن بعض الهفوات فارشاد الكتبة اليها أمر ليس لهم مذهب عنه فانا لنرى ألفاظاً كثيرة فيها تداولتها أقلام الكتاب وهى بريئة من الصحة

وإنى لأذكر منها لفظة شاع استعمالها كثيراً منذ نحو من خمس وعشرين سنة وهى « صاعة » فقد وضعها السواد من الكتبة فى موضع الردهة فأنكرتها على بعضهم فحجنى بأنه رآها فى أحد المعاجم فطلبتها فيه فرأيته يقول « الصاعة الموضع المتخذ للضيوف خاصة » فقلت له اذا كان هذا التفسير صحيحاً كانت الصاعة أخلق من غيرها ثم تعمقت فى التنقيب عنها فى سائر المعاجم فعثرت عليها فى مستدركات التاج واذا بالشارح يقول (الصاعة الموضع يتخذ للضيوف خاصة) لكنه قال بعد ذلك نقله الزمخشرى فنظرت فى الاساس للزمخشرى فرأيته يقول (اتخذ لصوفك صاعة) فعرفت حينئذ أن الصاعة معناها الموضع المتخذ للصوف لا للضيوف فالخطأ وقع من مرتب الحروف فى مستدركات التاج ثم سرى منها إلى المعجم الذى اعتمد عليه كتاب الجرائد .

قلتَ أيها الأستاذ إنك خطأت من أنث ضوضاء بدليل ماصرحت به المعاجم من أنها مذكر وأن همزتها اصلية ثم لاحظت ان لمؤنثها وجهاً وهو قول الحرث بن حلزة اليشكرى فى معلقته وانها قد تكون مشتقة من ضوض لا من ضأضأ . انتهى كلامك وفيه مافيه ومع ذلك فلم ار معجماً من المعاجم صرح بتذكير ضوضاء فهى مؤنثة وان تكن مصدراً حملاً على جلبة وهى الأصوات المختلطة والنظير قد يحمل كثيراً على نظيره قال فى الصحاح فان قول رويشد بن كثير الطائى:

يا ايها الراكبُ المزجى مَطيتَه ... سائلْ بنى اسدٍ ماهذه الصوتُ

فانما انثه لأنه اراد الضوضاء والجلبة ومثله قول اعشى باهلة :

انى أتتنى لسانٌ لا أسرُّ بها ... من عَلوَ لاعجبٌ منها ولاسَخر

فاللسان هنا بمعنى الرسالة .

وأنا الآن انهى كلامى طالباً منه عز وجل ان يحرس وقتك لك وأن يفرغ بالك عليك وان يجعل كل مقالاتك مطامح الأنظار ومراتع الألباب بمنه وكرمه .

المقالة الرابعة

رد الاستاذ المغربى

(الاضافة البيانية ؟ التحبيذ ؟ الاخصائى ؟ المسلطة والمماظلة)

نشرت (جريدة الوطن) ست مقالات رد بها الأستاذ البستانى علينا بعد سكوته زمناً . فقلت مذ قرأتها إن كان البستانى سكت عنا شهراً هاهوذا قد عاد فنثر علينا درا ونفث فى نفوسنا سحرا وكان يجزئه عن هذه المقالات الطويلةالتى أنشاها . ورفع سمكها فسواها مقالة واحدة يقول فيها إنه لم يكتب ما كتبه أولا فى الرد على المجمع العلمى تمهيداً لمقالات ينوى نشرها تحت عنوان (أوهام حملة الأقلام) وأنه لم يقصد الحط من كرامة المجمع ولا تشهيره بنسبة الخطأ اليه فى (عثرات الأقلام) ليروج ماسيكتبه هو - لو كتب الأستاذ هذا لا كتفينا به واعتذرنا اليه . لكنه سكت عن ذلك كله وتناول من البحوث والمسائل مالم يكن موضع نزاع . ولا للقراء اليه حاجة . ولعل السر فى سكوت الأستاذ ثم عودته الى الكلام أنه ادرك بثاقب فكره . وصادق حسه . ان الصواب مذ رددنا عليه كان فى جانبنا . وأنه هو قد تعجل انتقاد (عثرات الأقلام) بعد أن اطلع على مقالتين منها . وانه لو كان اطلع عليها كلها ولاسيا مقدمتها لما كتب فى نقدها ما كتب - ادرك هذا فسكت عن الجواب إذعاناً للحق . وعملا بآداب المناظرة حتى قام بعض تلاميذه فاعترفوا بأنهم هم الذين (اكرهوه على إبداء رأيه فى عثرات الاقلام إكراهاً) ثم كلفوه بالحاح ان يدع عزلته و يرد علينا لكى يطفىء نار (الحقد والموجدة) التى تأججت فى الصدور . وكاد يفور لها التنور . فالقارىء يفهم من هذا ان الأستاذ حفظه الله لم يعد الى الرد علينا بعد سكوته الطويل من اجل خطأ ارتكبناه . او ذنب اجترمناه . وإنما اراد أن يسكن من غضب تلامذته علينا . فلا يفرط احدهم بكلمة سوء الينا . فلله در الأستاذ مارق قلبه

وأكرم عاطفته . وأحناه على اصدقائه . اما اذا كان لابد من بيان رأينا فى المقالات الست التى كتبها الأستاذ فنقول انه لاينبغى ان يطال الكلام فى الرد عليها لأن مضامينها ليست موضع نزاع . ومعظم مافيها قد تعمد الأستاذ فيه الخروج عن الصدد تعمداً بحيث لم يعد الموضوع يفيد جمهرة القراء الذين إنما نكتب جميعاً فى الموضوعات اللغوية من أجل فائدتهم . ولا سيما أن الأستاذ تكلف كتابة مقالاته تكلفاً . وسلك مجاهلها تعسفاً ، إجابة للاقتراح . وتسكيناً للأُحاح ، كما أشرنا اليه آنفاً . فنحن لذلك كله لانطيل فى الرد على الأستاذ وإنما نقتصر منه على القدر الذى يسعه وقت ذلك التاجر الفاضل الذى وصفه (أبو صلاح) فى (المعرض[١]) فنقول إن مقالات الأستاذ ستة أقسام وباعتبارها نجزىء نحن أيضاً مقالتنا هذه الى ستة أقسام :

(١) ان قسما من مقالات الأستاذ لايتضمن شيئاً سوى وصفه ماعاناه من البحث والتنقيب عن أستاذ يتلقن منه . ويتخرج عليه . حتى ظفر بكاتب هذه السطور : وقد استطرد الى القول بأن مقالات «عثرات الأقلام» هى من وضعى لامن وضع المجمع العلمى وان إخوانى من أعضاء المجمع لم يرضوا ردى عليه . أما جوابى على من هو الذى كتب عثرات الأقلام . ؟ فواضح ان كاتبها هو المجمع بجملته بدليل انها بتوقيعه، وأما ان اخوانى لم يرضوا الرد فينافيه ان احدهم هو الذى ارسل بالرد الى إدارة «جريدة الوطن» مصحوباً بكتاب بخطه وتوقيعه وفى ثانى يوم وصوله نشرت الوطن فى محلياتها مايأتى : ارسل الينا المجمع العلمى فى دمشق مقالا ضافياً من إمضاء فلان جواباً على فلان الخ .

(٢) وقسما من المقالات الست تضمن جواباً مسهباً على سؤال وجهه أديب الى الأستاذ بشأن الفرق بين حروف الهجاء الرخوة والشديدة، وهذا بحث لاناقة لى فيه ولاجمل على انه مما تتلقنه اطفالنا فى الكتاتيب عندما يراد تعليمهم فن التجويد .

---

(١) يشير الاستاذ إلى مقالة الاستاذ الشيخ ابراهيم المنذر الذى كان ينشر مقالاته فى «المعرض» بتوقيع «أبو صلاح» وقد أثبتنا فاتحة مقالته فى مقدمة الكتاب

(٣) وقسم من مقالات الاستاذ اودعه مناقشتى فى عبارة وردت فى كتابى الاشتقاق والتعريب الذى اهديته اليه، فقال ان فيه سهواً وتسرعاً فى الحكم وهذا من اغرب ماسمعنا ان يهدى صديق الى صديقه فاكهة فيأكل اللب ثم يشكر له عليها بقوله ان فيها عجما او نوى !! وهل تخلو فاكهة من عَجَم اونوى ؟ على ان الاستاذ لو أطال باله وكسر ذلك النوى لوجد فيه لباً مأكولا وعذراً مقبولا .

***

(٤) والقسم الرابع من المقالات تضمن مناقشتى فى كلمات من اللغة لم تكن قط موضع نزاع بينى وبينه مثل قولهم (صاغة الصوف لاالضيوف) ومثل كلمات (التحبيذ) و (المواطن) و « التطاحن » فهذه الكلمات الثلاث ان كنت أنا رددت فيها القول فانما فعلت ذلك مشايعة للأكثرية من إخوانى أعضاء المجمع الذين يعدونها من « عثرات الاقلام » لعدم وجود نص عليها من كتب اللغة. أما أنا - اذا خُلِّيت ورأيى - فأجوزها كما أجوز كل دخيل شاع وألفته الأسماع وخف على الطباع - فاذا أنصفت أيها الأستاذ وجدت نفسك كتبت بضعة أعمدة لاحاجة اليها . ولا أصلح أن أكون خصماً فيها .

(٥) والقسم الخامس كررتَ فيه القول على غير طائل مثل البحث فى اشتقاق فعل « بره » من البرهة فان هذا مما اعترفنا فيه بأن صاحب « أقرب الموارد » ذهل عنه. وقد انخدعنا نحن فيه أيضاً كما انخدع هو بعبارة « الصحاح » ومثل بحثك فى مسألة جواز أن يقال « فعل ضرب » « حرف من » « كلمة لا إله إلا الله » وأشباه ذلك فنحن نقول بجوازه وجعله من الاضافة البيانية على حد قولهم « سعيد كرز » « حب الحصيد » « حبل الوريد » « علم الفقه » « شجر الأراك » « يوم الثلاثاء » « أربعة رجال » فكل هذا مما مثلوا به للاضافة البيانية وأولوه بقولهم « سعيد هو كرز أومسمى بكرز » و « حب هو الحصيد » و « حبل هوالوريد » و « علم هو الفقه » و « شجر هوالأراك » و « يوم هو الثلاثاء » و « أربعة هم رجال » وهكذا قول المؤلفين « فعل ضرب » « فعل هوضرب » وكذا البواقى. ومن الغريب أنك

أنكرت الاضافة البيانية بل أنكرت وجود « سعيد كرز » رحمه الله . وناشدتنا الله أن نهديك إلى الكتاب الذى نص على الاضافة البيانية قائلا « قد انقطع من عمرى ثمانى وستون سنة لم أسمع فيها شيئاً عن هذه الاضافة » فواخجلتنا جميعاً من هذا الموقف إزاء تلامذتنا الذين يدرسون اليوم علم النحو .

(٦) أما القسم السادس من مقالات الأستاذ فهو أدعاها للعجب ، وأبعثها على الطرب ، ذلك أنه كتب جملا طويلة شغل بها القراء ، وباعتها « جريدة الوطن » على الناس وهى مما لا يجوز بيعه ، ولا المتاجرة به : من ذلك ثلاثون سطراً فى المقالة « قسم ٤ » وأولها « قلت رعاك الله إنك سمعت الناس الخ الخ » ذهبت فيها أيها الأستاذ إلى أنى مخطىء فى كلمة « الاخصائى » وقرأتها بفتح الهمزة وتشديد الصاد على أنها جمع خصيص مع أنها مكسورة الهمزة مخففة الصاد نسبة إلى « الاخصاء » مصدر « أخصى الرجل » اذا تعلم علماً واحداً ، كما فى القاموس وشرحه ، والنسبة الى المصدر لانزاع فيها ، فقول من يقول « فلان إخصائى فى كذا » بمعنى قولهم « متخصص » وانما اختيرت الأولى لأن لها أصلاً معروفاً عند أهل اللسان مستعملاً فى المعنى الذى نريده اليوم تقريباً . وإنما رجحوا فى الاستعمال « إخصائى » على « مخص » بصيغة إسم الفاعل لما أنها أحسن وقعاً فى السمع . وأبعد عن الالتباس باسم المفعول الثلاثى .

ومما لا يجوز عرضه فى سوق الصحافة أيضاً ولا بيعه على قراء اللغة العربية ستة عشر سطراً افتتح بها الأستاذ مقالته « ذات القسم ٢ » وهى قوله « عزمت عليك أيها الأستاذ لتخبرنى ما الذى سول لك الولوع باستعمال التحبيذ الخ الخ » .

فى هذه الأسطر الستة عشر من العسلطة والمعاظلة مايشعر به لأول وهلة الناشىء الغرير . بله الكاتب القدير . أنكر الأستاذ علينا أن ننسب إلى كتاباته « المعاظلة والعسلطة » وأكبر هذه التهمة إلى حد أنه كان يتبرأ منها فى طول مقالاته وعرضها . وقد اجتزأنا نحن بهذه الجملة « جملة عزمت عليك لتخبرنى » للدلالة على مافى تلك المقالات من العسلطة والمعاظلة وأنهما من أكبر مزايا

كلام الأستاذ . وان رأيى فى الأستاذ أنه انما يحسن فى حياته العلمية تعليم أبناء الوطن قواعد اللغة العربية وآدابها . وهذا كان فى صدر عمره أطال الله بقاءه أما اليوم فكل مايمكن أن يستفاد منه هو مااهتدت اليه « مدرسة الحكمة » مذ أضافت اسمه إلى قائمة أسماء أساتذتها لتباهى به المدارس الأخرى . وليقبل عليها الطلاب من كل جانب بالنظر لواسع شهرة الاستاذ ولشيوع الثقة به. وقد رأينا أن نعيد على مسامع القراء تلك الجملة « جملة عزمت عليك لتخبرنى » فيحكموا إن كانت كتبت بالقلم العربى المضرى أو بالقلم القلفطيرى الطلسمى وهذه هى : [١]

***

(عزمت عليك أيها الاستاذ لتخبرنى ماالذى سول لك الولوع باستعمال التحبيذ ومايشتق منه ؟ فانى أتوقع منك ان تجلل (كذا) يراعتك عنه . ولا تدعها ترقمه حروفاً . فأنت وان تكن واسع الاطلاع . ومحيطاً علماً بكل نادرة . قد تجهل حقيقة وضعه ومقام واضعه من الريبة والدعارة (كذا كذا) فلو دريت جل المسألة ودقها لجاهرت بلعن المحبذ وأعرضت عن استعمال التحبيذ ندى الجبين وعلمت أن المثير لدفينة هذا السر على وجوه الصحائف ليس رقيق الوجه حشيا . وكأنى بك تتأنف قائلا : عمَّى فلان علينا وجه الأمر وأما أنا سأقول لك ستدرى ولا ريب أن الامر أبين من الشمس فى ريعان ضحاها) اه .

فمن هو هذا المحبذ المريب الداعر الذى يستحق اللعنة ؟ وما هو ذلك السر الذى أثاره فى الجرائد ذلك الجرىء غير الحشيم ؟ ماهذا الطلسم يارب ؟ وكيف الطريق الى حله ؟؟ اذا كنا لم نهتد الى المحبذ مثير الدفائن افما نحن بقادرين على أن نهتدى الى ان فى كلام الاستاذ عسلطة ومعاظلة ؟ اذا لم تكن هذه هى العسلطة والمعاظلة بعينها فأين هى ؟ وما مثالها ؟ أليست المعاظلة ان يتراكب الكلام تراكب الجراد . ويتصل بعضه ببعض بحيث يقرأ القارىء جملة منه فلا يفهمها

---

(١) علق صاحب «جريدة الوطن» هنا تعليقاً جاءفيه قوله : ان النفس تحدثنا بجمع أقوال الاستاذين فى سفر نطبعه ونوزعه . .

فيتوقع ان يفهمها فى الجملة التى بعدها فلا يفهم هذه ايضاً فيتوقع ان يفهم الجملتين فى الجملة التى بعدهما فلا يفهم وهكذا الى آخر الكلام فيقف متحيراً مبهوتاً . قال اهل اللغة (عاظل الكلام عقده ووالى بعضه فوق بعض) اما (العسلطة) فهى الكلام الذى خلا من النظام . وتجرد من حسن الانسجام . بحيث لم يعد يفهم منه مغزى ولا مرام . قال اهل اللغة : كلام معسلط اى مخلط بلا نظام . نعم ان الاستاذ أراد أن يعمل بالمبدأ القائل : اذا عرف الثقيل نفسه انه ثقيل لا يكون ثقيلا . فهو قد صرح فى آخر جملته (انه عمى علينا وجه الامر) يعنى فهو ليس بمعاظل ولا معسلط . ولكنك ايها الاستاذ أوغلت فى التعمية الى حد لايغتفر ولا يقدر « المغربى » ان يدركه مهما قدر وفكر .

وبعد فهل للاستاذ الجليل ان يقدُر إخلاصنا قدره فيفيدنا من علمه الجم بكتابة مقالات ينبه فيها الى « اوهام حملة الاقلام » من دون تعريض بكاتب، ولازراية على مجمع، فيستفيد منه القراء ويوالون له الدعاء ويثنون عليه اطيب الثناء .

المقالة الخامسة

للاستاذ البستانى (١)

(الاخصاء؟ التحبيذ؟ الاضافة البيانية؟)

ايها الشيخ اللغوى نفعنا الله بتحقيقك ظننت أنك تختار لنفسك بمناظرتى ماهو أجمل بك وازكى فى الاحدوثة عنك . وسبق الى وهمى أنى سأنشق من شذى اخلاقك ماهو أطيب من أرج الرند والخزامى . فكذب ظنى وخاننى حسى وكدت انتقم من طبيعتى لانها مثلتك منظوراً بعينها . فوالله لقد كان وقع السهام فى قلبى احب الىَّ من أن تدب منى كلمة خشناء الى إذن غيرى . ولكن هى الاقدار قد تقضى على المرء أن يحمل نفسه على مكروهها . وقدرت نبالة القصد فى المجمع العلمى كاشفاً له عن رأيى فى بعض ألفاظ فى «عثرات الاقلام» فماسلط الله الدهر على حسن تقديرى فيه كما سلطه على حسن موقعه منك . وأردت أن اشد على ساعديك بتصحيح بعض الكلم من تلك العثرات فانتفخت أوداجك علىَّ مستطيلا فى الحفائظ كأن افراز الغث من الكلام عن سمينه لايكون إلا بالتنقص والتناول بالمخازى . وطلبت منك أن تصدع بالحجة على صحة اضافتك البيانية فأتيتنى ببينة تخالها مسلمة ومآلها أنى كنت فى ربيع شبابى قادراً على تدريس الطلبة آداب اللغة وأما اليوم فلا نفع يرجى منى الا أن مدرسة الحكمة نظمتنى فى سلك اساتذتها لتنتفع بشهرتى فحدثت بنعمة الله فيك وأخذت اسبحه فى كل غدوة واشكره عنك على تمييزك عن نظرائك بصحة الاستدلال وجأرت اليه بالدعاء أن يقيك من خائنة العيون فاسلم (٢) جاعلا لنفسك منها إماماً يهديك الى استمالة القلوب ودعنى

---

(١) علق الاستاذ صاحب «جريدة الوطن» هنا قوله : ننصح القراء أن يحرصوا على أعداد الجريدة التى تتضمن مقال شيخنا الآتى ضناً بفوائده الجمة وحرصاً على كنوز كانت دفينة فى صدر شيخنا العلامة فوفقنا الله الى نيل بعضها باصلاء هذه المناظرة التى لا ننكر أننا كنا نحن الباعثين على إيقاد نارها بين الاستاذين رغبة فى خدمة اللغة العزيزة .

(٢) كذا فى الاصل .

ألقنك دروساً لاتحصلها على غير الشيوخ ولو انفقت أيامك فى معاناتها . والآن أبدأ بالنظر فى الاخصائى بسكون الخاء منسوباً الى الاخصاء وهو مصدر أخصى فأقول : قال فى محيط المحيط اخصى طالب العلم إخصاء أى تعلم علماً واحداً وقال فى أقرب الموارد القول نفسه لأنه ناقل عنه وكلا القولين مباين لوجه الصواب . وطالب العلم لم يقله أحد قبل محيط المحيط مغروراً بتفسير الفيروز ابادى لاخصى بتعلم علماً واحداً . وقال الفيروزابادى أخصى تعلم علماً واحداً فهذا القول محتاج الى تبصر وتدبر وهو لم يذكر فاعلا لاخصى . وأما الزبيدى صاحب التاج فقد أسند أخصى الى الرجل ثم قال « نقله الصاغانى وهو مجاز » فقول ذى التاج اخصى الرجل وهو مجاز قول صحيح لامغمز فيه ولا شطط وهو وحده الدال على أن تفسير أخصى بتعلم علماً واحداً غلط فظيع فقوله اخصى الرجل من منقول الصاغانى وتصريحه بأنه مجاز إيماء الى ان اسناد أخصى الى الرجل لايكون الا اسناداً مجازياً .

فيا أيها الشيخ الكشاف للغوامض قل لى أبيت اللعن أيجوز تفسير أخصى الرجل بتعلم علماً واحداً وقد صرح العلامة صاحب التاج بأنه مجاز أفيخفى على بصيرتك النافذة ان تعلم العلم لازم خاص بالانسان كالقراءة والكتابة والضحك ولا يسند اليه الا إسناداً حقيقياً فاذا كان أخصى المفسر بتعلم العلم كلاماً مجازياً فهل تمن علىَّ بتأويل يرده الى الحقيقة فالكلام الذى لاتأويل فيه يراد ظاهره وما لايراد ظاهره خارج عن المجاز فاستخلص مما تقدم أن تفسير القاموس ومحيط المحيط وأقرب الموارد لاخصى بتعلم علماً واحداً تفسير فاسد وأن قول التاج « وهو مجاز » يهدينى وحده الى معرفة معنى اخصى وما السبيل اليه سوى الاستعارة المكنية وهى نوع من المجاز فان من تخرج عليك وتوفر حظه من علمك الواسع يستسهل الصعب بها و يدريك معنى اخصى الرجل بالتحقيق البيانى . وقبل أن أثبت لك الامر بالدليل الفاصل يخلق بك أن تعلم أن العرب كانوا يخصون الحمير قصد تسمينها وكان السواد من ذوى الجاه العريض يخصون الاوغاد كالحمر فى زمن الجهالة و يجعلونهم مهنة فى ديارهم لايحظرون عليهم مؤالفة المحصنات فى خدورهن فاثبات الاخصاء

للحمار وضع حقيق واثباته للرجل وضع مجازى فاذا عرفت ذلك فافهم معنى اخصى من الوجهة البيانية وهى وحدها السبيل الى نيل الملتمس .

***

قال صاحب التاج « أخصى الرجل » فالتشبيه هنا مضمر فى نفس المتكلم غير مصرح بشىء من أركانه سوى المشبه وهو الرجل وأما المشبه به وهو الحمار فمتروك يدل عليه إثبات لازمه وهو أخصى والجامع بين المشبه والمشبه به البلادة والبلاهة فالتشبيه فى النفس يقال له استعارة مكنية وإثبات لازم المشبه به للمشبه استعارة تخييلية فاذاتقرر ذلك حكم عليك التحقيق البيانى أن تفسر لازم الحمار وهو أخصى بلازم له آخر مرادف له ولا يجوز أن يفسر بتعلم علماً فانه لازم للانسان واذا راقك الظفر به فانظر اليه فان أحرفه هى أحرف لازم الانسان التى هى العين واللام والميم فقبل أن تحكم الناسخ الماسخ بها كانت الميم منها مقدمة على العين أى كان تفسير أخصى الرجل مُعِل معلا واحداً لاتعلم علماً واحداً فتفسير خصيت الحمار خصاه فأخصى معلته معلا فمعل فقول المعاجم الثلاثة تعلم علماً واحداً خطأ شنيع صوابه معل معلا واحداً ، والمراد بقوله واحداً أى خصاء لانظير له يعنى بولغ فى خصائه وكثيراً مافسر صاحب القاموس الغامض بما هو أغمض منه . افتسترسل بعد هذا التحقيق الى وصف الرجل المتخصص لعلم واحد بالاخصائى وأى رجل من شم المراعف لايحرق الأُرَّم عليك حنقاً أن وصفته بتلك الصفة التى لايقبلها سوى من لاتؤلمه الفضاضة والضراعة . وأى عاقل يقول إن الرجل لايكون منقطعاً الى ممارسة فن واحد إلا اذا سلت خصيتاه فياللعجب العجاب .

وكأنى بك تقول لاأفهم هذا الكلام لانه معسلط فأثبت صحة قولك بالتحقيق اللغوى لابالتحقيق البيانى فقد كنت أعرف البيان صغيراً واليوم نسيته كبيراً أقول إن كان أمرك كما ذكرت نظرت فى المسألة نظرة لغوية لعلى اجعلها لك مبذولة المنال بحرفين عرفت سرهما وانت غض الحداثة قبل ان تعلمت فن التجويد وأبح لى بعد ذلك ان اقول لك تعلم ياشيخ المجودين فلسفة الحروف من

مسيحى لم يجود قط آملا ان يكون لى عندك بعد إعادة النظر فى التحبيذو إضافتك البيانية مودة غير مدخولة ودوام عهد على طول المودة فهاك التحقيق بحرفين أحدهما مهموس والآخر مجهور فأقول قال فى التاج « أخصى الرجل » فالصاد من أخصى حرف مهموس والهمس فى اللغة خفاء الصوت ويقابل الحرف المهموس الحرف المجهور والجهر فى اللغة ارتفاع الصوت والظاء من الحروف المجهورة وهو مقابل للصاد فاذا تعاقب فى الكلمة حرفان أحدهما مهموس والآخر مجهور كانت دلالة مافيه المجهور أشد وأبعد من دلالة مافيه المهموس فتعاقب الصاد والظاء فى الكلمة أنشأ فعلين هما أخصى وأخظى فكل منهما منزل منزلة الفعل المطاوع فيقال خصاه فأخصى أى سل خصيتيه فسلتا كما يقال خظاه الله فأخظى أى سمنه فسمن . وقد سبق أن الغرض من خصاء الحمار تسمينه فأخصى تدل على سل خصيتيه ليسمن وأخظى تدل على الغرض من سلهما وهو السمن فدلالتها اقوى وأمد من دلالة اخصى ولذلك قال فى القاموس خظاه الله اى سمنه لأنه وحده عز وجل يخلق الحيوان سميناً أوضئيلا ومثل دلالتهما دلالة واطن وواطأ فان واطن دلت على الطريق الى الغرض وواطأ دلت على الغرض نفسه وكما ان دلالة واطن ناسبت دلالة واطأ ناسبت كذلك دلالة أخصى دلالة اخظى . وقلنا ان كلا من اخصى واخظى منزل منزلة المطاوع لان الكثيرين من المحققين انكروا ان يكون موزون أفعل مطاوعاً للفعل الثلاثى المتعدى وان يكن قد جعله مطاوعاً له ابن جنى فى الخصائص وابن مالك فى التسهيل ومهما يكن فمعنى خصاه يضمن أخصى كما أن معنى خظاه يضمن اخظى فتقرر لذلك أن اخصى لا تدل على غير سل الخصيتين. ومن نظائر خصاه فأخصى حجمته عن الشيء فأحجم وكببته فأكب ونسلت ريش الطائر فانسل وقشعت الريح الغيم فأقشع ونزفت البئر فأنزفت الخ .

* * *

ولقائل أن يقول إن الزبيدى صاحب التاج متأخر العهد عن صاحب القاموس وتفسير أخصى بتعلم علماً واحداً رأيته فى نسخة من القاموس خطت قبل أن ظهر

التاج فما الذى كفه عن تصحيحه فأقول من عادة صاحب التاج ألا يصحح ماينقله عن غيره بل يتركه على علته ولا سيما اذا كان لم يذكر إلا فى معجم واحد وتصديقاً لذلك أذكر لك شيئاً من هذا النمط قال فى لسان العرب الاين الحية مثل الايم والنون بدل من اللام فنقل صاحب التاج ذلك بأحرفه ولم يصححه مع ان الصواب أن يقول النون بدل من الميم وهو ظاهر . وقال فى اللسان ايضاً : الثور كل ماعلا الماء من القماس بالسين فنقله ذو التاج ولم يصححه مع انه القماش بالشين. وقال فيه ايضاً إئتبر الحر قدميه فنقله صاحب التاج على غلطه بالحرف الواحد وصوابه إئتبر الخير قدمه . وقال فى الاساس إحرنججت الابل (بجيمين) اجتمعت وتضامت فأضافه صاحب التاج إلى مستدركاته بغير تصحيح وصوابه احرنجمت ثم نقله صاحب أقرب الموارد الى ذيل معجمه . فأجتزىءُ بذكر هذا اليسير من الكثير . وأما ما نقله الفيروزبادى الى قاموسه من أضراب ذلك فقد لقيت من جمعه عنتاً شديداً .

فيا أيها الشيخ الكبير لم اسهب فى هذا الكلام بغية أن تمسك عن وصفك من تخصص لعلم واحد بالاخصائى فأنت لن تحيد عن ذلك قيد شعرة ولو وضح الخطأ منك وضوح النور فى رونق الضحى وانى لا اسفه قولك اذا تماديت تقول انه غير مفهوم لأن الذى لم يلمّ بشىء من التحقيقات البيانية واللغوية يعذر إذا كان ادراكه للواضح منها يكلفه لبن الطير ، فاجر على وتيرتك وذرنى اخدم بما اكتب اخوانى الادباء الصحافيين الذين يكتبون مقالاتهم فى مثل رجع النفس غير متمكنين من التنقيب عن لفظ يضعه امثالك ليعرفوا أهو خطأ ام صواب ، ولا يعترضنى الريب فى انهم يحرصون على اجلال المتخصصين مندفعاً اليهم السوء ممن يعمد الى تنقص أقدارهم وتهجينها ، ولقد أخذنى العجب منك ايها الشيخ فى انك بدرت الى غمز قناتى قبل ان تروز حصاتى وأخذت تنحت اثلتى قبل نظرك مُعرَفى (اى وجهى) الذى تشتق منه معرفتى ، واما المجمع العلمى فانى لأجمل ثنائى عليه لانكاره عليك قرع صَفاتى وتشويه صِفاتى

فكل خصيف من افراده الأدباء يدرى ان الحجة لاتؤيد بقولك فلان طالب للشهرة وان كلامه فيه كثير من المعاطلة وغير ذلك مما ينكره ادب البحث ولم يجر فى خاطرى ان المنطق يبيح لك أن تولد نتائج من قضايا لم يسلم بصحتها من تماريه.

وقد رغبت فى أن أنزه ذوى اليراع من استعمال التحبيذ كما تصون من ذكره ابن سيده فى محكمه والأزهرى فى تهذيبه والجوهرى فى صحاحه والزمخشرى فى أساسه والفيومى فى مصباحه ولم ينقل ذلك سوى صاحب القاموس تباهياً على الجوهرى فى أن معجمه أجمع من الصحاح فقال ذو التاج « فى زيادة مثله على الصحاح نظر » ثم قال « وانما قاله بعض النحويين وليس من اللغة بشيء فلذلك لم يذكره الجوهرى وغيره من أيمة اللغة » فلما رأيتك مصرا على التمسك به قصدت إعلامك أن مسألة التحبيذ لمسألة قذرة لايقع فى إمكان ذى الادب أن يصرح بسبب وضعها على صفحات الجرائد ولما كان من ديدنى ان لا أعرض براعى أو أقيس بذراع أطول من ذراعى أشرت الى ذلك إشارة خفية يفهمها كل من يعهده الناس ألمعيا لبيباً فأقامك التلميح وأقعدك وعلقت تصيح بمجامع حلقومك هذا كلام معسلط غير مفهوم فلو كنت لغوياً لأجبتك بقول أبى تمام: فقد قيل له لماذا تقول مالا يفهم فأجاب ولماذا لاتفهم مايقال. وأما أنا فبعد أن عرفت بضاعتك فى اللغة أمكننى أن أخاطبك بقول عمرو بن معدى كرب:

اذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

***

أيها الأستاذ أستكتمك قبل أن أنتقل الى إضافتك البيانية أن التحبيذ جرى على لسان ذات ريبة من خُشارة المستعربات فانها قالته لناح من ذوى الدعارة وقد تهتكت أستارها (وعند هذا الحد يجب الوقوف) فردد قولها ذاك المريب كأنه وضع من أوضاع العرب فنبذه غير صاحب القاموس من أرباب المعاجم لأنهم ينقلون الأوضاع العربية من العرب الثقات لامن المستعربات

الدخيلات . أيروقك يامحب اللغة أن تجعل قيادها فى أيدى الأعجميات الداعرات وهل يؤخذعنهن كما يؤخذ عن ذوات الحصافة من البدويات فالبدوية تعرف بالسليقة طبائع الحروف فاذا جرى على لسانها لفظ لم يترددوا فى صحته فتداولوه لأن قولها حجة لاترد وإليك وضعاً من أوضاعها : قالت الكلابية أحم رحيلنا فنحن سائرون غداً وأجمّ رحيلنا فنحن سائرون اليوم فالحاء حرف مهموس والجيم حرف مجهور ألا ترى أن الحرف المهموس أجّل الرحيل والحرف المجهور عجله فهذه وضعت اللفظ بقوة ذكائها وتلك وضعته بفرط بذائها فأى الوضعين تراه حرياً بالنقل . فتولّ بعد هذا كله خطة رأيك فلا أقيم فى طريقك سداً فاذا اردت أن تحبذ فأنت وشأنك واذاثنيت يراعك عن التحبيذ فأنت وما تراه وأما أنا فأعوذ بالله أن أكون من المحبذين .

وأما إضافتك البيانية فقد كنت عازماً فى بادىء الامر أن أحبس عنان اليراع عنها لأن الامعان فى التحدث فيها ليس وراءه طائل كبير . ولا سيما أنك قاطع عزمك على تأييدها ومصر على أن تظل متناولا إياها بجمعى كفيك مخافة أن يتخطفها أحد وأنت منهمك فى القيام بنصر حبذ والذود عن حياضها فغاليت فى إفهامك أن هذه الاضافة مزعوم ومكذوب فيها فلم تود أن تفهم بل عطفتك علىّ العواطف واضطربت من الحياء عنى قائلا واخجلتنامن الأحداث الذين يتلقنون ضوابط النحو . فأذن لى أن أحتمل جميلك وأشكر ماهب علىّ من نسيم رحمتك ودعنى أسكن ثورة اضطرابك بانبائهم شيئاً عن هذه الاضافة الحديثة بكلام تمكنهم لطافة حسهم من فهمه وان كانوا فى طراءة أسنانهم :

أيها النجباء لم يعرف الاضافة البيانية قبل شيخكم أحد فانه وحده استفتح مغالقها وأبرزها من مكمنها الذى استكنت فيه منذ عهد سيبويه الى اليوم . فاسمعوا حفظكم الله أخبركم كيف شيخكم ولدها :

قال النحاة لا يجوز أن يضاف إسم الى مرادفه ولا موصوف الى صفته ولا صفة الى موصوفها لأن الغرض من الاضافة المعنوية التعريف أو التخصيص

ولا يتعرف الشيء بنفسه ولا يتخصص بها فلا يقل ليث أسد ولا رجل فاضل
ولا كريم رجل فاذا سمع عن العرب الخلص مايوهم شيئاً من ذلك أول وقيل إنه
شاذ لايقاس عليه وان سمع عن المتأخرين حكم عليه بأنه غلط لايجوز استعماله
فما سمع من إضافة الاسم الى مرادفه قولهم سعيد كرز فسعيد وكرز مترادفان
لكونهما موضوعين لمسمى واحد أضيف احدهما الى الآخر فأول النحاة الاول
وهو المضاف بالمسمى، والثاني وهو المضاف اليه بالاسم فاذا قالوا جاء سعيد كرز
فكأنهم قالوا جاء مسمى هذا الاسم. ومن ورود إضافة الموصوف الى صفته قولهم
حبة الحمقاء وقولهم صلاة الأولى ومسجد الجامع، أي حبة البقلة الحمقاء وصلاة
الساعة الأولى ومسجد المكان الجامع. ومن ورود إضافة الصفة الى موصوفها
جرد قطيفة وسحق عمامة فتأويل ذلك أن يقدر موصوف ايضاً ويقدر إضافة الصفة
الى جنسها ويجر الجنس بمن لان الاضافة فيهما بمعنى من لكون المضاف اليه
جنساً للمضاف لاموصوفاً به اذ الموصوف محذوف والتقدير شيء جرد من جنس
القطيفة وشيء سحق من جنس العمامة، وقال الازهري صرح بمن لبيان معنى
الاضافة. فمن قول الازهري أخذ شيخكم المحترم الاضافة البيانية فالبيانية صفة
لمن لا للاضافة فاذا كان جر الجنس بمن يبيح له على زعمه تسمية الاضافة بيانية
فأين الجنس في فعل تأكد لازم فهل يقال فعل من تأكد وسعيد من كرز
واذا كانت الفائدة من بيان معنى الاضافة تجيز تسميتها بالبيانية لزمكم أن تسموا
إضافة النكرة الى المعرفة إضافة تعريفية وإضافة النكرة الى النكرة إضافة
تخصيصية وإضافة كل الى يوم من قولكم صمنا كل يوم إضافة ظرفية
وإضافة رسول من قولكم محمد رسول الله إضافة تعظيمية وإضافة ابن من قولكم
جاء ابن الاسكاف إضافة تحقيرية وإضافة غلام من قولكم غلام من أنت إضافة
صدارية واضافة أشد من قولكم ضربناه أشد الضرب إضافة مصدرية وبحكم
الضرورة تسهل لكم أن تسموا كل إضافة باسم الفائدة التي يكتسبها المضاف
من المضاف إليه فتقولون هذه إضافة اعرابية وتلك إضافة بنائية وإضافة تذكيرية

أو تأنيثية أو جمعية أو تمييزية أو غير ذلك بيد أن الاضافة التي ابتدعها شيخكم ليست بشيء من ذلك لأن كلا من المضاف والمضاف إليه نفس الآخر وهي من باب نسبة الشيء إلى نفسه والمنسوب يقتضي أن يكون منسوباً إلى غيره. فاذا تمحل النحاة وجهاً صحيحاً لما شذ من الكلام العربي القديم فلا يتمحله أحد منهم للحديث الذي نشأ بعد أن وضع القياس ولذلك قالوا ما أبيح استعماله للمتقدمين محظور على المتأخرين وإذا أصر شيخكم على بنائه الأحكام على النوادر فاسئلوه لماذا عاب في مقالته الأولى استعمال ماهو كأ كوني البراغيث[1].

---

(١) وقد علق صاحب الوطن هنا مايلي : ننتظر من أستاذنا المغربي أن لايضن بجوابه ففي هذه المناظرة فائدة كبرى لأبناء العربية .

المقالة السادسة

رد الاستاذ المغربي

(الاخصاء ؟ التحبيذ ؟ الاضافة البيانية)

حقاً أيها الاستاذ إنك إخصائي في مسائل اللغة . واقف على قواعد النحو والاعراب . وإنك لتستحق التحبيذ والثناء على هذا الوقوف والاخصاء . غير أن وقوفك و إخصاءك قلما يؤديان الى نتيجة في كثير مما تكتبه وتحاول إثباته . وما أشبهك في علمك وسعة إطلاعك بذاك الذي اتقن علم الرمل وتعمق في مسائله وأدرك عند الامتحان أن في يد الملك المطبقة قطعة معدن مستديرة الشكل مفرغة الوسط . لكن لما كلفه الملك أن يقول له ماهي ؟ لم يقل هي خاتم وإنما قال « حجر رحى » !!! والاستاذ حفظه الله ومتع (الوطن) بطول بقائه سرد علينا كلاماً طويلا من تحقيقاته أو منقولاته . لكنه لم يدعمها بشيء من برهاناته ولا معقولاته . وإن رده الاخير في مقالاته الاربع اشتمل على عشرة أعمدة حاول فيها انتقاص ثلاث كلمات من كلمات اللغة العربية . فأوسعها مقتاً وحرماناً . ونسب اليها ماهي براء منه بغياً وعدواناً : فزعم أن طائفة من أئمة اللغة أخطأوا في استعمال (الاخصاء) و (التحبيذ) وانه لايصح أن يقال (فعل تأكد) بالاضافة بل لايوجد في علم النحو إضافة تسمى (إضافة بيانية) أصلا . نعم إن الاستاذ افتتح مقالاته ثم استطرد في غضونها الى تسويد نحو عمودين فيما يسمونه التعريض والتنكيت . ولكن لاأظن الاجادة في هذا النوع من الخطاب مما يحسن تحبيذ الاستاذ عليه . ولا أن الاخصاء فيه مما يليق بأحد أن يباهي به . ولذلك أُعرض عن مواجهة الاستاذ بمثل تعريضه . مقبلا تواً على البحث في تلك الكلمات الثلاث. ومالي وما لتلك الكلمات !! ولمَ يوهم الاستاذ القراء أني أنا خصمه فيها ؟ و إنما خصمه في (الاخصاء) و (التحبيذ) هو صاحب القاموس نفسه وخصمه في إضافة (فعل تأكد) الواردة في « عثرات الاقلام » هم اخواني أصحاب التوقيع الذي تحتها . ولقد ابديت صفحتي للنزال وتلق النصال من دونهم ودون إسم

مجمعهم فعرفوا لى ذلك . ومازالوا يشكرون لى عليه . فكيف تنخدع أيها الاستاذ بأنهم انكروا علىَّ ردى عليك وأنا إنما أناضل عنهم . وأنافح بقلمى دونهم . وحاشاهم ان يكونوا من اللؤم بحيث تكهنت وتصورت . أما الاستاذ رئيس المجمع العلمى فيعلم الله انه قد ادهشنى منه معرفته بالرجال . وا كتناه مزاياهم . وتحديد درجاتهم . وسيكون كلامى معه فى أول مواجهتى له تحبيذه على مهارته فى هذا الفن « فن التراجم » والتألى له بأنه من ا كبر الاخصائيين فيه .

قال الاستاذ فى إنكاره « الاضافة البيانية » : « ناشدتك الله لتهدينى الى الكتاب الذى ينص عليها . فقد انقطع من عمرى ثمانى وستون سنة لم أسمع فيها شيئاً عن هذه الاضافة ... إن هذه الاضافة مزعوم ومكذوب فيها ... دعنى أسكن ثورة اضطرابك بانباء الطلاب شيئاً عن هذه الاضافة الحديثة ؟ أيها النجباء لم يعرف الاضافة البيانية قبل شيخكم أحد ... بيد أن الاضافة التى ابتدعها شيخكم الخ » ـ قوله هذا صريح فى انكاره وجود مايسمى اضافة بيانية فى علم النحو كما يفيد أنه حفظه الله قد طفر فى العلم طفرةً واحدة الى الكتب العالية : فلم يقرأ كتب المبادى امثال حاشية (الشيخ خالد) على الاجرومية التى قال فى آخر صفحة منها (وهذه الاضافة هى المسماة بالاضافة البيانية) ولعل الاستاذ يتخلص فيجيب بأن الشيخ خالداً إنما أراد بها ما كان على مثال (خاتم حديد) (عمامة خز) فنقول له هو كذلك . ولكن أما تراهم نصوا على وجود نوع من الاضافات يسمى اضافة بيانية فكيف تدعى أنها من مخترعاتى ؟ وان موضع الخلاف بيننا هو اضافة كلمة (فعل) الى كلمة (تأكد) فقد انكرتها بحجة أنه لايجوز إضافة الشىء الى نفسه . فياليت شعرى بماذا تسمى ما كانت اضافته مثل اضافة (فعل تأكد) وذلك كاضافة « اسم الله » و « بلد بغداد » و « مدينة بيروت » و « علم الفقه » وقول العلامة المحقق الشيخ ابراهيم اليازجى فى ضيائه « كلمة أوربا » « لفظ الانخذال » « لفظة تحصل » « كلمة عرب » « لفظ عيسى » « لفظة المتفنن » « لفظة العبقرى » أليست هى كلها من قبيل قولنا

« فعل تأكد » وبماذا تسميها أنت بعد أن اعترفت بوجودها . وكيف تعترف بالجسم وتنكر الاسم ؟؟ أما أنا فأعترف بالجسم والاسم معاً استناداً الى حواشى الالفية للخضرى ورسالة الصبان على البسملة : قال الصبان عند الكلام على إضافة « بسم الله » مانصه : « إن أريد بالجلالة لفظها فاضافة اسم اليها للبيان » .

* * *

قلنا أيها الأستاذ إن ممن صرح بوجود الاضافة البيانية الشيخ خالد محشى الأجرومية، أما (التحبيذ) فقد اعترفت أنت وكفيتنا المؤونة بأن صاحب القاموس قبلها لكن غيره نبذها . فما يكون ذنبي إذا قلدت صاحب القاموس كما قلده كتاب العرب المنتشرون فى الشرق والغرب ؟ وقد قبل الكلمة أيضاً الزبيدى صاحب التاج وغيره لكنهم قالوا إنها مولدة ، وحكم المولد واستعماله أمر معروف لأظن أنه يوجد نزاع فيه بيننا ، وإنما النزاع فى هذه الكلمة كلمة (التحبيذ) فقد اطلعت أنت لها على تاريخ قذر يوجب اطراحها وعدم استعمالها ، وياليتك اختصرت القول فيها فذكرت لنا الكتاب الذى ذكر قصتها كى نراجعه ونريح أنفسنا من الجدال ومن سماع قولك الغريب : (عزمت عليك لتخبرنى الخ) وقولك (إن التحبيذ جرى على لسان ذات ريبة من خشارة المستعربات فانها قالته لناح من ذوى الدعارة وقد تهتكت أستارها فردد قولها ذاك المريب كأنه وضع من أوضاع العرب الخ) فأنت تريد أن تقول كلمة (التحبيذ) أول ماتولدت بين داعر وداعرة ، فالتقطها الفيروزابادى ، ووضعها فى مهد قاموسه وما زال هو وشراحه يهزون لها سريرها ويربونها ويربتونها حتى شبت وشابت ودارت على أفواه الرجال ، ومع هذا كله ومع الاعتراف بتولد (التحبيذ) على هذه الصورة ماهو المانع من استعمالها كما تستعمل الكلمات المولدة الأخرى ؟ ومن قال إن الكلمة المولدة لايصح استعمالها ولا يجرى عليها حكم المولد مالم تتولد من أبوين صالحين لاداعرين ولا فاجرين ، ومن قال إن الكلمة المولدة لايجوز اعتبارها مولدة فى حكم الشرع اللغوى والأدب البيانى حتى يعمل لها يوم ميلادها قداس

أو زيـاح ، أو يؤذن من فوق رأسها بحى على الفلاح ثم تقام لها المهرجانات والأفراح ؟ ؟ لنتفع أيها الأستاذ بكلمة (التحبيذ) ولنغض عن أصلها وفصلها وحسبها ونسبها كما نغضى عن نسب الكثيرين من ذوى المظاهر المغموزين فى أعراقهم المرضيين فى أخلاقهم ، ولم يكن تشاؤم الأستاذ بكلمة (الاخصاء) بأقل من تشاؤمه بأختها كلمة (التحبيذ) فان سوء ظنه بتلك الكلمة المسكينة بلغ حداً لا يحتمل ، والصبر على ما استشهد به فى وجوب ردّها ضاقت عنه الحيل ، مسكينة كلمة (التحبيذ) يريد الأستاذ وأدها لأنها ولدت على يد داعر وفاجر ، أما أختها (الاخصاء) فيريد وأدها لأنها ولدت على يد « ناسخ ماسخ » يعنى أن الذى نسخ كتاب قاموس الفيروزابادى مسخ الجملة التى ذكر فيها فعل الاخصاء وحرفها وأن أصلها كان هكذا (أخصى الرجل معل معلا واحداً) فحرفها الناسخ فقال هكذا (أخصى الرجل تعلم علماً واحداً) وأقوى دليل استدل به الأستاذ قول الصاغانى (وهو مجاز) أى إن نسبة الخصاء إلى الرجل مجاز وأما حقيقته فهى نسبته إلى الحيوان ، هذا ما قاله الأستاذ ولم يقل فى تفسير التجوز هنا بهذا المعنى غيره ، وإلا فظاهر أن نسبة الخصاء إلى الانسان والحيوان نسبة حقيقية لأنه عمل واحد مادةً وصورة فى الانسان والحيوان كليهما ، كما إذا قلنا ذبح فلان الحيوان وذبح فلان الانسان فالذبح فيهما كليهما حقيقة ، وكذا الخصاء ، وإنما التجوز الذى أراده الصاغانى فى (أخصى الرجل) وأقره عليه الزبيدى هو فى أن يراد من اخصاء الانسان تعلمه علماً واحداً وأن يستعمل الاخصاء فى التعلم فمدار التجوز هو هذا الاستعمال . لا الشق والاستلال ، ومما يجب التنبيه إليه أن أحداً من أهل اللغة لم يقل ان الهمزة فى (أخصى) للمطاوعة لكنه هو قاله وبنى عليه رأيه ومجىء الهمزة للمطاوعة انكره الزمخشرى بالمرة فى تفسير قوله تعالى (أفمن يمشى مكباً على وجهه) وايضاً اذا كان الصواب : اخصى الرجل معل معلا كما قال الأستاذ فما الغرض من ذكر الرجل ولم لم يقولوا أخصى الحيوان معل معلا . أليس لأنهم يريدون ان ينسبوا إلى الرجل ما هو من خصائصه أعنى التعلم لا المعل .

* * *

ومن عجيب ما استدل به الشيخ الفاضل قوله (أفتسترسل الى وصف الرجل المتخصص بعلم واحد بالاخصائى ؟ وأى رجل من شم المراعف لايحرق الأرَم عليك حنقاً ان وصفته بتلك الصفة التى لا يقبلها سوى من لاتؤلمه الغضاضة والضراعة ؟ وأى عاقل يقول إن الرجل لا يكون منقطعاً الى ممارسة فن واحد الا اذا سُلَّت خصيتاه ؟ فيا للعجب) اهـ قوله . وقد كرر هذا التعبير وأعاده مراراً حتى سمعنا بعض الفضلاء يتأفف من خمسة اعمدة كتبها الاستاذ عن هذه الكلمة وقد ملأها تصريحاً . وأوسعها تشريحاً . ويا ليته أظهر التقزز منها كما اظهره فيما كتبه وعلقه على لفظ (التجبيذ)! . لذلك نجتزئ نحن فى بيان كيف أن العرب تجوزت عن تعلم العلم الواحد بكلمة (الاخصاء) خشية أن نقع فيما وقع فيه الاستاذ من تكرير هذا القول القبيح . نجتزئ بأن نحيله على سطر فى القاموس واقع قبل السطر الذى فيه عبارة الاخصاء وهو قوله (والخصِىُّ كغنى الشعر لم يتغزل فيه) يعنى ان العرب يسمون الشعر الذى ليس فيه غزل وتشبيب (خصياً) وهذا كما لا يخفى مجاز وقد قاله الزبيدى أيضاً فهل يعترف به الاستاذ أو يدعى أن هذه الجملة أيضاً محرفة ؟ ! فالطريقة التى يُجرَى عليها فى بيان تجوُّز استعمال (الخصاء) فى الشعر الذى لم يشتمل إلا على المديح مثلا ينبغى أن يجرى عليها أيضاً فى بيان تجوز استعمال (الخصاء) فى الانسان الذى لم يتوفر إلا على علم واحد . وأظن أن فى هذا بلاغا لقوم يعقلون وينصفون . أما قول الاستاذ كيف لايحنق المتعلم علماً واحداً اذا وصفناه بالاخصاء يعنى والاخصاء مشتق من مادة مستقبحة فى السمع . فأقول فى جوابه : وكلمات (ذكره نحن اليه) و (هو بذلك الامر حرى) و (لعل الفرج قريب) و (أدبر وتولى) (والسهو معفو عنه) و (أدلى بحجته) و (المنية حق) و (أشفار العين) و (إحليل الناقة) و (اسكت يارجل) و (بضع نساء وبضعة رجال) و (فلان أبوك) و (الزباء ملكة العرب) الخ كل ذلك ينبغى أن يستكره فى ذوقك أيها الاستاذ لأن المادة التى اشتق منها مشتركة بينه وبين مايقبح ذكره ويسمج التصريح به . وهل تنكر أيها

الاستاذ الزباء أيضاً كما أنكرت من قبلها (سعيد كرز) ثم عدت فاعترفت بوجوده؟
أم تقول إنى أعترف بالزباء إذ لم يعد يضر اسمها لاشتهاره على أن اللغة مسألة
نقل لا مسألة عقل . وهذا القاموس قد فسر كلمة (الاخصاء) تفسيراً صريحاً .
ودعوى أنه اعتورها تحريف دعوى لم تستند على برهان ولا رأى حصيف : قل
لى (وأكتفى منك بهذا القول وحده) إن فلاناً من علماء اللغة كان قال هذا
القول الذى تقوله أنت أو أنه يوجد نسخة من نسخ القاموس المنبثة فى طول البلاد
وعرضها قد فسرت (الاخصاء) بالعلم ، ولكنى أنا أقول لك إننى فى جلسة
واحدة راجعت من نسخ القاموس المخطوطة التى كتبت منذ بضع مئات من
السنين نحو خمس نسخ وكلها تفسر الاخصاء بتعلم علماً واحداً ووراء ذلك ماشاء الله
من النسخ المطبوعة ومنها نسخة هندية وهذه النسخة التى ترجمها عاصم أفندى
الى اللغة التركية تفسره بذلك أيضاً ، وعاصم أفندى إنما ترجم نسخته عن نسخ
خطية متعددة فى مكاتب الآستانة وهو لم يشر الى أنه وجد نسخة تقول غير
ماترجم به ، وفوق ذلك أحمد فارس الشدياق الذى أولع بالقاموس وأغلاطه . وألف
كتابه (الجاسوس على القاموس) فى تتبعها والكشف عنها : فهو لم يذكر أن
صاحب القاموس أخطأ فى تفسيره ، ولا ريب أن أحمد فارس اطلع على نسخ من
القاموس فى مصر وتونس والاستانة وأوربا لا تعد ولا تحصى . وأهنئك أيها الاستاذ
بأنك لم تجهر برأيك هذا فى زمن احمد فارس اذ ربما كان يعقد فصلا خاصاً حول
هذه النكتة فى كتابه (الفارياق) . دعنا من أحمد فارس وجاسوسه ، هذا الشيخ
نصر الهورينى مصحح المطبعة الاميرية فى القاهرة ونسخته المصححة المطبوعة
أيضاً ، والشيخ محمد محمود الشنقيطى الشهير بتدقيقه بل بتشدده وتنطعه فى ضبط
اللغة، ونسخته المحفوظة فى الكتبخانة المصرية وهو قد صححها على النسخة الصلاحية
الرسولية التى صححت على المؤلف نفسه . قطعت جهيزة قول كل خطيب . وهل
مؤلف القاموس الذى كتب العبارة وصححت عليه ووراءه الهورينى والشدياق
والشنقيطى وعاصم وماشاء الله من العلماء الذين كتبوا القاموس وشرحوه وترجموه

وصححوه وقابلوه لم ينتبهوا الى أن قوله « تعلم علماً واحداً » غلط وصوابه « معل معلا واحداً » ولم تقع بيدهم نسخة واحدة من القاموس تقوله ، وانت وحدك أيها الاستاذ قد علمت ذلك وانتبهت اليه وقدرت أن هناك نسخة ذكر فيها « معل معلا » لكنها رفعت الى السماء ! ولعل صاحب الوطن الفاضل يعفيني بعد اليوم من مناظرة استاذه العلامة فقد كفاني ماسمعته منه . وتلقيته عنه . واذا لم يكتف حضرات القراء كما اكتفيت فلينتظروا مقالاته « أوهام حملة الاقلام » التي عاد فوعد بها ثانية في قوله « وذرني أخدم بما أكتب إخواني الادباء الصحافيين الذين يكتبون مقالاتهم في مثل رجع النفس الخ » وها أناذا اهنيء رصفائي الصحافيين منذ الساعة . بهذه البضاعة . وأرجو لهم عدم الاضاعة .

المقالة السابعة

رد الأب انستاس الكرملى

(حبذ وأشباهها من المولد ؟ المواطن ؟ رجل بكل معنى الكلمة ؟ حايده ؟ و...)

وقفت على مادار من البحث اللغوى بين الشيخين : عبدالقادر المغربى وعبدالله البستانى وأدرج فى (أعداد الوطن) : ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ فأحببت أن أذكر بوجه الاختصار مايمكن أن يؤول من كلامهما فيؤخذ به ، ومالا يمكن أن يخرّج أو يوجه فلا يلتفت اليه .

إنكار الشيخ البستانى لحبذ لكونه مولداً ، ولأن المولدين لم ينطقوا به بهذا المعنى الذى اتخذه له بعض كتاب هذا الزمن الأخير ، كلام لايؤخذ به ، وإلا لو نأخذ به لطرحنا من العربية جميع مصطلحات العرب العلمية والفنية والصناعية والعمرانية ، ولم يبق بيدنا منها الا الشىء النزر التفه الذى لاينطبق إلا على الحالة البدوية أو على الحافرة ولم يكن عندنا مانؤدى به عن احوالنا العصرية فنكون قد رجعنا القهقرى الى العصور الأولى وصرنا فى أخريات الناس ، وهذا لايقبل به عاقل .

واذا طرحنا من لغتنا المولد ، وبحجة أقوى لو طرحنا المحدَث العصرى ، لبقى منها القشور وأما اللب فقد ذهب مع النفايات ، مع أن حضرته قد استعمل المولد والمحدث فى ما كتبه ، فانك ترى فى مستهل كلامه ذكر الادب والادباء والمتأدبين والأوضاع و إمعان النظر والمقال (بمعنى مايكتب من الكلام) والناقد والانتقاد والمنتقدين والجهابذة والقرن (بمعنى مائة سنة) والمعجم الى غيرها . وهذا فى (عمود) من (عمد) (مقاله) فكيف بنا لو توخينا عزل كل ما جاء فى تلك المقالة .

وحبذ بمعنى استحسن ظاهر من نقله لكلام صاحب القاموس اذقال : لاتحبذنى أى لاتقل لى أنت حبيبى . أفيجهل حضرته أن الرجل لايقول لصاحبه : أنت حبيبى إلا بعد أن يستحسن مقاله أوخلقه أو خُلقه فهذا من باب التلازم . فقول المولدين أو المعاصرين : حبذ بمعنى استحسن لاغبار عليه . وأما انفراد المجد الفيروزابادى بهذه الكلمة ، فذلك لا يطعن بصحة كلامه ، لأن من حفظ

حجة على من لم يحفظ ، وتقديم (لا) عليها لا يعنى أنها لا ترد إلا مقرونة بها ، فذكره (لا) معها هو من باب إيراد قول المتكلم على مانطق به ولم ينص أحد على أن كلا من (لا) و (حبذ) ملازمة لجارتها .

وأما (المواطن) وما أحدثه المعاصرون من الالفاظ الجمة فيقال عنها : ان نطق بها العرب سابقاً ، جاهليين كانوا أومولدين ، يؤخذ بها وإلا فلا ، وهذا بشرط أن يكون لها مرادف فى كلامهم ، وإلا فان اقتضت الحاجة الى اتخاذها ، فلا يعبأ بورودها أو بعدم ورودها ، بل تؤخذ وتسخر لأداء بنات الافكار ، وإلا فمجرد المحافظة على مانقل الينا من كلامهم بدون التصرف فيه من زيادة أو نقصان ، هو من قبيل الجمود بل الهمود والقضاء علينا وعلى لغتنا ، وهذا لا يرضى به لا هو ولا غيره ولو كان متعصباً كل التعصب لحفظ ذخيرة الاقدمين .

ولما كانت كلمة (المواطن) لا تدخل فى هذا الباب ، لأنها مشتقة من (واطن) وواطن لم يرد فى كلام واحد من فصحائهم من جاهليين ومولدين ، وكان لها مرادف عندنا وهو (الوطنى) و (ابن الوطن) وجب أن يضرب بها وبأمثالها عرض الحائط .

بخلاف قولهم : (فلان رجل بكل معنى الكلمة) فليس فى لغتنا كلام يؤدى هذا الفكر . وقول الشيخ البستانى : « فذلك تعبير ليس من العربية بشىء ، فالعرب يقولون : فلان رجل أىُّ رجل ، وأيما رجل ، على معنى كامل فى كل صفات الرجولية . وهو العالم حق العالم ، وجد العالم ، يريدون البليغ الكامل فى كل الصفات » ، فهو غير المطلوب من التعبير الاول . وذلك أن التعبير الاول يفيد مفاداً آخر ، وهو أن للكلمة الواحدة عدة معان من وضعية (أوحقيقية) ومجازية ومطلقة ومقيدة ، الى غيرها . فقول القائل : بكل معنى الكلمة أى بكل معنى من المعانى المذكورة . وهذا لا يرى فى التعبير الذى يذكره العرب . وأما قوله فذلك تعبير ليس من العربية بشىء ، فهذا لا ينفى استعماله ، لأن العرب لم تنطق بجميع التعابير ، وكيف تنطق بها وهى أكثر من أن تحصى ، بل لا حد لها . والعرب لم تحظر فى كتبها التعابير على أنواعها ، بل ما كان منها مخالفاً لتراكيبهم أومناحيهم ،

وليس الأمر هنا كذلك . فان التركيب تركيب عربى ومنحاه منحاهم ، واذا نطق به واحد منهم ؛ فهمه حالا كل ناطق بكلامهم ، فلم يبق إلا اتخاذه .

وكان يحسن بالشيخ البستانى أن يذكر للقراء أن ماأورده من منع هذا الاستعمال سبقه اليه غير واحد من مخطّئى كتاب العصر كالشرتونى مثلا ومن أخذ إخذه .

***

هذا ولو فرضنا أن التعبير تعبير أعجمى فان له أمثالا فى العربية فقد قالت العرب: ظمىء إليه أى إلى لقائه اشتاق ، قال مصنف التاج : والمصنف كثيراً مايستعمل المجازات الغير المعروفة للعرب ، ولابد أن أغفل التنبيه على مثل هذا وهو كذلك ، ولكن مارأيناه نبه إلا على الأقل من القليل كما ستقف عليه اه . وفى الأساس :ومن المجاز: أناظمآن إلى لقائك أى مشتاق . ونبه عليه الراغب وهو مستعمل فى كلامهم كثيراً ، وقالوا مثله : قَرِم إلى لقائك فأنت ترى أن العرب فى عهد زهو لغتهم نقلوا تعابير أعجمية وجازت عليهم جميعاً حتى أنهم لم ينتبهوا إليها لأنه لم ينبه عنها لغويوهم.

وقال الشيخ البستانى : أرغب إلى المجمع العلمى أن يهديهم جميعاً إلى مايغنيهم عن كلم تمادوا فى مزاولتها وهم يصرفونها عن مدلولاتها كأعمدة الجرائد والعدد من أعدادها والموظف والوظيفة وغير ذلك ، فهذه الكلم وكثيرات من نظائرها يثبتها الصحافيون فى كل نشرة من صحائفهم وليست واحدة منها تتأدى إلى المعنى الذى إليه يقصدون اه .

قلنا : ولو زاد على ماذكر (الصحافيون والنشرة والصحائف) التى يذكرها هو فى مقاله لما خرج عن موضوع كلامه – إلا أننا نقول إنه لايحق لأحد أن يبدل الكلمات المذكورة بغيرها فانها من المعرب المعنوى والمعرب المعنوى كثير فى العربية منها الدرجة والظفر والظفار والضفدع والبرَدة والرَّحى (لمرض فى النساء وصحفه بعضهم بصورة الرجاء خطأ) وجار النهر والسرطان والعقاب واللسان والبواب والأعور والمستقيم ، وكلها ألفاظ علمية تفيد معانى غير معانيها الموضوعة لها وكلها معربة تعريباً معنوياً عن الأعجمية ، والعمود فى الجريدة من هذا القبيل هذا فضلا عن انه سمى

كذلك من باب المشابهة لأن الاسطر التي تصف شيئاً فوق شيء تشبه العمود، والعدد من الجريدة سمي كذلك لأن لكل نسخة يومية أو أسبوعية أو شهرية عدداً يميزها عن غيرها فتسمى به، والموظف والوظيفة وردتا في كلام المولدين وكفى بهم حجة.

وتغليط الشيخ البستاني لأقرب الموارد في مادة (ح ي د) في غير محله، فقد جاء في معجم الشرتوني (حايده محايدة وحيادا، جانبه وفي الأساس مال عليه) وزاد الشرتوني في الذيل نقلا عن التاج: (أي إن هذا الكلام كله منقول برمته عن التاج) ثم زاد: وفي الأساس حايده: مال عنه، فقول البستاني بعد هذا (وقول أقرب الموارد مال عليه وصوابه مال عنه) في غير محله، إذ المؤلف نفسه قد استدرك الغلط ناسبا إياه إلى التاج وهو الحق ثم صححه نقلا عن الأساس كما رأيت.

وأما ابدال (الحياد) بالاعتزال فجناية إذ كلاهما مسموع ولا يحق قتل لفظة لمجرد التحكم ولا سيما بعد أن شاعت في الكتب وعلى الألسنة بخلاف (الاعتزال) فانها تفيد معاني كثيرة ولم تشع هذا الشيوع.

ولقد أصاب في قوله ان (داخل) فعل متعد فلا يقال داخلت انكلترا في أمور اليونان بل داخلت انجلترا اليونان في أمورهم وكذا أصاب في قوله انه يقال (تأكد القوم) أن الأمر كذا، وأصاب أيضاً في انكار وجود (بره) بمعنى أتت عليه برهة، لكنه أخطأ في اعتبار البرهة الزمن الطويل مقلداً في قوله هذا الشيخ ابراهيم اليازجي، والحال أن (البرهة) تفيد المدة، طويلة كانت أم قصيرة، فقد جاء في المصباح برهة من الزمان بضم الباء وفتحها أي مدة وقال اللغويون في تفسير المدة البرهة من الدهر يقع على القليل والكثير، وقد ورد في الأمثال للميداني في شرح المثل صغراهن شراهن (١ ـ ٢٦٩ .. ثم تحولت إلى الحي بعد برهة) أي بعد مدة غير محدودة فقد تكون بعد مدة طويلة أو بعد مدة قصيرة كالهنيهة مثلا.

وأما إنكاره للمتنزه في قوله فلا سبيل إلى تسمية شيء به في الدار وما يقرب منها لان مادته (وهي النون والزاي والهاء) موضوعة للبعد وتنزه الرجل وهو في داره قول واهي الدليل) لا يرضى به كل أديب فقد يتنزه الرجل وهو على سطح

داره إذا كان ذلك السطح مطلق الهواء ، ويقال للمتنزه المنتزه والمنزه أيضاً وان أنكره الشيخ اليازجى فقد ورد فى كلام بلغاء المولدين وعندنا انه حجة لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ ، وعدم ورود (انتزه) لاينفى وجود اسم من الافتعال مالم يصرح بعدم وجوده اللغويون ، وورود المنزه أو المنتزه أو المتنزه بمعنى السطح ورد فى المقرى إذ يقول «منازه مرتفعة وأبراج مشيدة » وقد وردت مراراً فى كتابه نفح الطيب ١-٤٢١، ٤٤٢ ، وفى ٣ - ٥٥٥ وقد وردت فيها ثلاث مرار بمعنى السطح و ٥٥٧ إلى غيرها من طبعة الأفرنج .

وأما ورود المنتزه عند اللغويين فقد وردت فى القاموس والتاج فى مادة زملك وصمدح وطلح وصغذ وسغدوجير وزهد وحبش وسبط وبشتنق وجنق ورطل وبشتن وبرى ، وفى مروج الذهب طبعة الأفرنج ١-٨٤ ، ٩٠ ، ١٣٠ ، ١٧٨ ، ٢٦٦ وفى ٢-١٥٦ و ٣٢١ ، ٣٢٩ وجاءت فى رسائل بديع الزمان ص ٢١٠ من طبعة بيروت وفى الأغانى ١-٢٧٧ من طبعة بولاق وفى قلائد العقيان فى آخر القسم الأول ، وأما ابن الاثير فانه لم يقتصر على استعمال المنتزه والمنتزهات مراراً لا تحصى ، بل استعمل اسم الفاعل فقد قال - فى هذه السنة أى (٤١٧ ھ)توفى حماد . . وكان خرج من قلعته منتزها فمرض ومات ، فهذا كلام يشعر بأن المولدين عرفوا فعل (انتزه) بمعنى (تنزه) وممن ذكر المنتزه بصيغة المفعول أسامة بن منقذ (راجع معجم الادباء لياقوت الحموى ٢ - ١٩٢) إذ قال :

فكلها لمجالِ الطرفِ منتزه وكلهم لصروف الدهر أقرانْ

وإن شاء القارئ زدناه شهادات فنجتزئ بما أوردناه .

وقال البستانى ناقداً كلام المغربى (وقلب الهمزة عيناً . فيه شيء من التسامح فلايسمى إبدال الهمزة بالعين أو إبدال العين بالهمزة قلباً بل إبدالا) قلنا ذكر أبوالبقاء فى الكليات قال ص ١٥ من طبعة الاستانة الابدال يكون من حروف العلة وغيرها والقلب لا يكون من حروف العلة اه .فظهر من هذا أن المصيب هو (المغربى) لاحضرته.هذا ماعن لى فى مطاوى المطالعة وربما كتبت شيئاً فى مايضاهى هذا الموضوع وهو الميسر .

المقالة الثامنة

للاستاذ البستانى

(البحث والمباحثة؟ بوجه الاختصار؟ القلب والابدال، الحقيقة والمجاز، العمود؟ و...)

سبق لجلة الأدباء علم بمعارضة لم أمزق فيها للشيخ المغربى فروة ولم أغمز له قناة لأن من الشوائب أن أنهج الى الحقيقة مناهج أنعى بها على نفسى بالخزى والنقيصة، ولما صرفت عن نيتى مواصلة الحجاج وأخذت على اليراع وجهته مخافة أن يشذ عن سبيل القصد جمع القسيس الكرملى ذيله لمناهضتى ونشر فى إحدى الصحف [1] رسالة موه بالباطل كل مافيها واخترع فى اللغة نصوصاً وأحكاماً لم تدخل فى علم أحد من حضنة العلم وأدل على الصرحاء الخلص من العرب بتفسير حروف من أوضاعهم لاظل للصحة عليه، وجاوز قدره بالاستواء على أريكة القضاء يتمثل فى خاطره أنه فقيه اللغة وقاض بعيد الغور بين المتناقشين وإن لم يستفتياه أو يتقاضيا اليه فسولت له حينئذ نفسه الأبية أن يخضد شوكتى ويقطعنى عن الحق فتهادى وتمادى وتبجح وتمدح ثم حاول أن يأخذ علىَّ السبيل بحكم يدل على مقدار حظه من التحصيل فتهدم علىَّ بالكلام القارص مقتسراً إياى على الاذعان لقضائه الفاسد وإلا رمانى بقاصمة الاصلاب فسوأت كلامه وفندته كله بمقالة بعثت بها الى جريدة الوطن ؛ وبعد أن عقدت عزمى على نشرها ثنانى عنه تحقق أن مقال هذا الرجل ليس خليقاً بأن يكون مرمى البصر وخفت أن يزرى علىَّ الشادون تعقبى له وهو لم ينل من علم اللغة مكاناً رحيباً فتلمست من مطبعة الوطن مقالتى وذخرتها عندى مستورة عن عيون طالبيها فالتمسوا مراراً الى نشرها مساغاً فلم توصل أيديهم بالملتمس ومع ذلك فلم يقنطوا بل سلكوا الى نيلها كل سبيل فتمكنوا منها وهذه هى :

طالما كان البريد قيد نظرى ومرمى عيانى وأنا أنتابه أحيان مأتاه لعله يروح قلبى بجائبة خبر عن قسيس أديب آنسنى ساعة زارنى فيها منذ ثلاثة أشهر

---

(١) هى « جريد الحقيقة » البيروتية ، ومقالة الاب وحدها نشرت فيها .

أو تزيد ثم برحني فكاد فؤادي يطير في جو طريقه والنفس تنازعني الى حيث
تتألق أنواره الباهرة فتوارى عني بالحجاب وطوت الالسنة أخباره عن مسمعي
فتندستها طويلا فما طالعني أحد بصحة شيء منها ولا وقعت اليَّ رسالة منه تنبئني
ما أحدث به الدهر بعد أن ظعن عني ، وبينا أنا شائم وميض البرق من صوب أفقه
سمعت صيتاً يقول القسيس القسيس فلويت عنقي الى حيث ارتفع الصوت واشتد
فأخذت عيني صديقاً يلوح اليَّ ويستوقفني فوقفت فجد في خطوه الى ناحيتي وفي
يده « جريدة الحقيقة » فما لبثنا أن تقاربنا حتى دفع اليَّ الجريدة وقال اقرأ فيها
حكم القسيس عليك فأرعدني قوله ونفض جوانحي وقلت ويحك ما نافرني يوماً
خصيم الى حكم وما حكم ذو السلطان بين خصمين قسيساً فاني على ريب فيما
تقول فقال اقرأ وافعل بعد ذلك برأي نفسك فعطفنا معاً الى محلة أديب من
أهل مودتنا ومكثنا عنده ريثما قرأت فيها الحكم مذيلا باسم قسيس ذي ورع
وقنوت يقال له الاب انستاس ماري الكرملي وهو الذي زارني في هذه السنة
ساعة تحدث فيها اليَّ وفي تقديره أنه كان ينشقني من مفاكهته الطيبة ريحانة
الجليس ثم انصرفت الى مدرسة الحكمة مغلوباً على عقلي متحيراً من ركوب الكرملي
هواه ومبادرته الى زيارتي ولم يكن قبلها عارفي يوهمني أنه صديق لا يتهم وداده
ومواثق لا تخفر ذمته ولم يدخل قط في وهمي أنه متصنع في موالاتي لأطمئن اليه
باطلاعه على ما فاوضت به المجمع العلمي من الكلم فذكرت له بعضاً من ذلك
مطيلا في الثناء على رجاله وشاكراً قطع عزائمهم على إحياء اللغة وقد كان من
وراء علمي أن المحترم منخرط في سلكهم فبعد أن أرصد عتاده من كنانتي جمع
ذيله للرحيل شاحناً عزمه لمناضلتي وما مر على مصارمته إياي ما ينيف على ثلاثة
أشهر إلا بدا قالباً لي ظهر المجن وهو يقرع مروتي وينقب عن هفواتي ويزدريني
بمقالته التي دلت على مقدار استبطانه لدخائل العلم فاليه الآن أسوق كلامي راغباً الى
أبناء الادب أن يتجاوزوا عن إساءتي اذا حسبوا أن بتسوئة العمل إساءة أو جريمة.

***

أيها الأب الورع . أتقذف الرعب فى قلبى وأنت المدخل النفوس فى أمانك .
وهل من العدل أن تدعنى رهينة الحيف والظلم وأنت المأمور بمناصبة العتاة
الظالمين . لشدما حسبت أن تأتى مايضارع الآمال فيك فما صدق الحسبان .
فمثلك خليق بأن يروض نفسه بالتقوى ويعمل الصالحات و يتجهز للتألم بآلام سيده
« يسوع » فى هذه الحياة الدنيا فأهل هذه الدار سفر يحلون عقد الرحال فى غيرها
والرجل المغبوط من يعتبر . ومن الاعتلال فى الرأى انك وجهت عزيمتك الى
مناجاتى كأن لك بها غنية عن مناجاة خالقك ومن الصحة فيه أن لا تتهافت على
ماليس من شأنك فصرّف أعنّة افكارك فى إرشادك وعظاتك ودع المباحثة فى اللغة
لأهلها فما انت ممن ملكتهم قيادها . فمن أراد مناولة مالا يكون استقرت فى يده
الخيبة وأنت خبير أن حبل نظرى لم يمتد الى محياك سوى مرة تغنمتها زيارتى هذه
السنة فتساهمنا المودة متخالصين ثم أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا الى ان أفضت
بنا الى ذكر اللغة ومكاشفتى للمجمع العلمى بما عنده من الرأى فى بعض الألفاظ
فكنت نازلا على حكمى ساكتاً كأنك متابعى بكل ماليه عمدت غير أنك حدثتنى
عن نفسك أنك قطعت من عمرك خمساً وثلاثين سنة نقبت فيها عن أصل لفظة
فاستعظمت جلدك وهالنى عزمك الراسخ ورددت فى ضميرى قول الشاعر :

فلاخيرَ فى العيدان إلا صلابها ولا ناهضاتِ الطير إلا صقورُها

ثم برحتنى بعد أن انس كل بصاحبه والقلب مطمئن الى القلب لاتدب اليك
موجدة منى ولا يفور عليك فائرى ولا تبدر من كلامى كلمة تحرّك قاعدا عما بدا
حتى كدت تخرج من جلدك غيظاً وتثير من صدرك كمين الغل على كأنى صككت
خدك الايمن ثم استويت على منصة القضاء تحسبك حكَماً أسرعت نفسه الى
هواها فحكمته افتئاتا بين متناظرين لم يتواضعا على تحكيمه .

فهل سمعت المتناظرين يقولان كما قال احمد بن يحيى حكمناه وسوفناه وسوّمناه
حتى جلست جلوس المتعظم فى نفسه وعلقت ترفع يمينك وتحطها كأنك تلوح
بفيصل تقطع به الباطل .

على رسلك ياهذا فلو نهجت الى مناصبتى غير الطريق التى نهجت لأريتك من اخلاقى ماهو ألين من معطف النسيم ولكنك دسست لى الغدر فى التودد وزرتنى خاطباً مودتى وعاقداً حبلك بحبلى فأصفيتك شكرى ثم انثنيت الى بلدك وانا أتحين وصولك اليه مستنشقاً نسيم الراحة فتتحفنى برسالة اتعرف بها أحوالك فاغتنمت غفلتى بمراقبة اخبارك وفاجأتنى بوعيد حسبت أن الظهور تتقطع منه فرقاً وأخذت تبرز على أحكاماً مدعياً أنها نافذة نفوذ السهام فى الرمايا ومتباهياً انك حكم وخصم معاً ومتجاهلا أنك لم تحذق من علم اللغة مايمكنك من فهم حكم من أحكام قضاتها . ومن أغرب الامور أنك تعجب بأحكامك الفاسدة قاطعاً فيها وانت مقترف فى مقالتك من الاغلاط اللغوية مايغض من ابصار المحصلين وما تضيق من دونه اصمخة آذان القضاة العادلين ، وقبل مباشرتى لنقض تلك الاحكام أهديك الى منزلتك فى اللغة لأن الدعوى دفنتها عنك وما الوسيلة الى ذلك سوى أن اذيع للملأ من أسطر قليلة فى صدر رسالتك اغلاطاً كثيرة تكون رواميز الى غيرها مما ابتعدت به عن مرامى السداد .

* * *

انت تقول : وقفت على مادار من البحث اللغوى بين فلان وفلان ، ألا تدرى ان معالم القصد قد استبهمت عليك بماقلت فما الذى حسن لك الحكم وأنت مقر أن اللذين تحكم بينهما لم يختلفا فقد بدا لى أن غوصك على حقائق اللغة وأسرارها أنهى إليك أن البحث والمباحثة لافرق بينهما مع أن الفرق واضح وضوح النور فى رائد الضحى فاذا أسند فعل البحث إلى الواحد فلاسبيل حينئذ إلى الحكم لأنه لايكون إلا بين المتعارضين وان أسند إلى غير الواحد كقولك بحث فلان وفلان عن كذا فلاداعى إلى المعارضة أوالتعارض لأنهما يبحثان عنه متساندين ، والبحث مأخوذ من البحاثة بضم الباء وهى التراب الذى يبحث عما يطلب فيه ومنه المثل المشهور « كباحثة عن حتفها بظلفها » فمما تقدم ينجلى لك أن وضعك البحث فى موضع المباحثة غلط شنيع فلو قلت وقفت على مباحثة دارت الخ . ما كان كلامك ضرباً من الخبط .

وتقول (فأحببت أن أذكر بوجه الاختصار مايمكن أن يؤول من كلامهما فيؤخذ به وما لايمكن أن يخرَّج أو يوجَّه فلا يلتفت اليه) فقولك (فأحببت أن أذكر بوجه الاختصار الخ) لاتنفسح لك المعذرة فيه لأنه دليل على أن تحرشك بما لا يعنيك لم يبعثك عليه سوى ارتياحك اليه وهل كل من استخفه الارتياح إلى التحكك بأحد الأمور يتسنى له أن يعقد النية على امضائه ، أما أنت فقد بدا لى أنك مستمر على تخلية نفسك وماتشاء مع أن المستقل برأى نفسه موقوف على مداحض الزلل . وقولك (بوجهالاختصار) تعبير عامي وأما الاختصارفاماأنك تريد به اختصار كلامك أو اختصار كلام المتناظرين فان كان الأول قضيت على نفسك أنك غير عليم بمواقع الكلام فالبلاغة تدعوك إلى أن تقول وأنت قاضيها : أذكر كذا بالايجاز لا بالاختصار . وان كان الثانى كنت غير مقسط فى حكمك لأنك تصرفت فى كلام المتناقشين قبل الحكم وأنت لاتجهل أن الحكَمَ مقضى عليه أن يترك كلام المتحاكمين على علاته ثم يبنى عليه أحكامه . وقولك « أن أذكر مايمكن أن يؤول من كلامهما » صوابه أن أذكر من كلامهما مايمكن أن يؤول . وقولك(مالايمكن أن يخرج أو يوجه الخ) فيه نظر فالقابض على أزمة البلاغة يدرى أن إبدال التخريج أو التوجيه من التأويل لاطائل وراءه .

ومن أغرب ماقيل قولك إنكار الشيخ البستانى لحبذ لكونه مولداً كلام لايؤخذ به وإلا لو نأخذ به لطرحنا من العربية جميع مصطلحات الخ ولم يكن عندنا مانؤدى به عن أحوالنا العصرية » أقول لم تتولى هذا الكلام روية صادقة ومثله مثل العجائز الفانية فى أطمارها البالية فلا أدرى كيف يكون الانكار كلاما وهل اخبر غيرك عن المصدر بالكلام فما كان ضرك لو قلت إنكار فلان لحبذ لايؤخذ به وعلام لم تنزل على رأى أحد المتأدبين فيرشدك بخبره قبل نشر مقالك وهل قرأت كلاما مرصوفا رصف قولك (كلام لا يؤخذ به وإلا لو نأخذ به لطرحنا ، الخ) أيهاالبصير بمذاهب الكلام قسما بحرمة علمك الذى تظن أن أهل النظر يستصبحون بنوره لأشيدن بذكرك فى الآفاق أنك قطب

هذا الزمان إن عرفت معنى ما أنت قائل فكيف تقدر الشرط بعد «إلا» والقرينة قبله منفية وهي (لا يؤخذ به) وما الحكمة بحذف الفاء من جوابٍ تعذر وقوعه شرطاً وما هي النكتة البيانية من إيراد شرط لو مضارعا ، وإذا كنت ربيباً للفضل فتفضل عليَّ بمعنى قولك ولم يكن عندنا ما نؤدى به عن أحوالنا العصرية، وبمعنى « ينطبق » من قولك : لا ينطبق الا على حالتنا البدوية . فهذا النزر اليسير استخلصته من ثلاثة أسطر فى صدر مقالتك وسيكون لى رأى فى سائر ما فيها من الطُّرَف مسهراً قلبى بعد ذلك لكل سانح .

***

وقبل أن أنصرف الى نقض أحكامك أتبرأ من تبعة ما تجنيت به افتاتاً عليَّ بقولك إنى أنكر المولد فى اللغة فكيف أنكره ومن أوضاعى طائفة كبيرة منه اطمأن الى استعمالها المتبسطون فى ضروب الانشاء فى سوريا ومصر وغيرهما أفلا يدور على ألسنة الاقلام: المستوصف والآنسة والعقيلة والمفوض والمفوضية والمصعق والمِكتاب لآلة الكتابة والمزارة لورقة الزيارة والمعقل وغير ذلك مما استرسل اليه سواك ممن يلاحظون الحقائق بالبصائر لا بالابصار فليس للغة مسمح عن المولد فان من انعطف اليها بوده وكان لها عليه ذمة لا تنقض يشد على ساعد كل من يولد حروفاً تكون لها سداداً من عوز وأما العامى الذى تظنه مولداً فذلك لا يستصلحه غير من لا يدخل التوليد فى علمه . ولا يضطربن فى صدرك أنى أنزع الى مذهبك فى التوليد فانه لمذهب لا يشايعك عليه إلا من يستنيم الى التناسخ . فناشدتك الله يا بصيراً باستنباط الأدلة النواصع أن تثبت من طريق البينات أن المولود الواحد يكون من والدتين حقيقيتين كما يكون المولودان أو المواليد من والدة واحدة فاذا ادعيت أن ذلك زعم تخرج من عهدته نقى الصحيفة فكلامك عن « حبذ » مبطل دعواك وهاهو ذا بنصه : (حبذ بمعنى استحسن ظاهر من نقله لكلام صاحب القاموس إذ قال لا تحبذنى أى لا تقل لى أنت حبيبى أفيجهل حضرته أن الرجل لا يقول لصاحبه أنت حبيبى إلا من بعد أن يستحسن مقاله

أو خَـلقه أو خُـلقه فهذا من باب التلازم « كذا » فقول المولدين أو المعاصرين حبذ بمعنى استحسن لاغبار عليه) انتهى كلامك . أفما أجزت لنفسك توليد التحبيذ مرتين فاذا قدرنا أن قولهم حبذت زيداً لفظ مولد يريدون به زيد حبيبى فكيف تولده مرة أخرى بمعنى استحسنته ، ومن ذا ولد قبلك لفظاً مولداً فالمولد هو المختلق أى المخترع على غير مثال فحبذته بمعنى قلت له أنت حبيبى مختلق وأما إيراده بمعنى استحسنته فليس كذلك لأن له مثالا سبق استعماله فانك أَمتَّـهُ ثم أحييته . وهنا يخلق بك أن تتباهى بما أودعته من الحكمة وما أدراك ماتلك الحكمة فلعمرى هى البراعة التى فاتت جميع مصنفى اللغة و كتبة المعاجم و بقيت مذخرة فى خزائن الدهر الى أن استخرجتها «مرحى مرحى» فتفسيرك للتحبيذ بمعنى الاستحسان سيكون له شأن عظيم فى أندية الخطابة فكثيراً ما كان الناس يقولون للخطيب لافض فوك أو أحسنت أو غيرذلك مما يدعو اليه الاستحسان ولكن سينصرف كل منهم عن ذلك القول الى قول آخر فيه رقة وحنان على الخطيب وهو أنت حبيبى . وأنت تقول إن الواحد لايقول ذلك للآخر إلا إذا استحسن مقاله او خَلقه أوخُلقه فاذا انتصب على منبر أحد الأندية منطيق قابض على أزمة الفصاحة والبلاغة وكانت الدرر تتناثر من فيه سمعت كلا من الحضور المستحسنين لمقاله يزيط من أقصى حلقه أنت حبيبى فما يكون من أمره حينئذ والارجاء تصدى وجدر النادى ترتجس كايوان كسرى والمنبر يميد تحته يميناً وشمالا فانه ولا ريب تأخذه الأبهة والعظمة وتسكره العزة والجلالة فيترنح ترنح النشوان وتولد البديهة فى خاطره بوادر قدَّت هى والتحبيذ من أديم واحد واذا كان الخطيب حسن الخلق أى شديد الالواح عبل الشوى ريان العصب فقول السامع له أنت حبيبى يهز عطفيه و يحرك نشاطه فيهيجه النزق فيصفق بكفه اليمنى وجه المنبر فتصم الآذان من صوت ذلك الصفق الهائل فلله درك يارجيل وحده فان مايقصر عنه باع غيرك تراه على حبل ذراعك ولايخفى عليك أن تحقيقك الغريب سيحيط أبناء اللغة علماً بمقاليد لمغالق التفسير لم يسبق لأحد

منهم بها عهد فاذا استطال عليك أحد المكابرين بحجته فأيد قياسك بأقيسة كثيرة مطبوعة على غراره وهاك لذلك مُثلاً منسوجة على منواله : فاذا أريد تفسير شكر من قولهم شكر الفقير إحسان الأمير فانسج قياساً على منوال قياسك لتفسير التحبيذ وقل أتجهل أن الفقير لايشكر للأمير إلا بعد أن يحسن اليه فتفسير شكر بأحسن لاغبار عليه واذا طلب أحد تفسيراً كل من قولك ما أكل زيد إلا بعد أن جاع فقل للطالب ألا تدرى أن زيداً كلما جاع أكل فتفسير أكل بجاع لاغبار عليه واذا رأى غيرك أن فى ذلك غموضاً فقل له هاك دليلا أوضح من أن يوضح تراه فى قولهم ذهب أبوك الى السوق فاشترى منها جبة ألا تعلم أن أباك لم يشتر جبة من غير السوق فتفسير الجبة بالسوق والسوق بالجبة لاغبار عليه إنك لبرئ الصدر إذا قلت لصاحب الجبة البس سوقك لئلا يقرّسك البرد أى البس جبتك .

* * *

ومما يدل على أنك عميد أهل النظر حكمك بأن قول بعض الكتاب (فلان رجل بكل معنى الكلمة) لاشئ يمنعهم استعماله و إن كان تعبيره ليس من العربية بشئ قائلا « ان العرب لم تنطق بجميع التعابير » ثم قلت ان التركيب عربى ومنحاه منحى العرب « كذا » واذا نطق به واحد منهم فهمه حالا كل ناطق بكلامهم فلم يبق الا اتخاذه « كذا » فلعمرى ماقرأ لبيب هذا الكلام المتجاوز حد العجب إلا أخذته الروعة منه فان البصير يريبه الشك فى قائله أهو خابط ليل أليل أم هو راكب هواه ووجوه القصد مشتبهة عليه أفلست جامعاً فيه الغث الى السمين والسمين الى الغث فكيف يكون التركيب عربياً والتعبير ليس من العربية بشئ . ومامعنى قولك بعد ذلك منحاه منحى العرب وهل سمعت كلاماً فخماً فيه فحولة العربية وعليه مسحة البلاغة كقولك لم يبق الا اتخاذه فانك قصرت البقاء على ماتظنه صواباً وجعلت كل شيء عداه زائلا فسبحان الحى الباقى . وماراقك أن يقال فلان رجل كل الرجل أى هو الكامل فى الصفات كما قال الزمخشرى لزعمك أن ذلك غير المطلوب فحكمت (وماأصوب أحكامك) بأنهم يعنون بالرجل

الرجل الوضعي والحقيقي والمجازي والمطلق والمقيد وغير ذلك من المعاني فهل يشق عليك أن تخبرني من هو الرجل الوضعي ومن هو الرجل الحقيقي والرجل المجازي وان تضرب لكل معنى مما ذكرته مثالا فمن كان مثلك بحراً في اللغة لا يسبر غوره تصل طاقته الى كل شيء بعيد المنال ولا أكتمك أني ضحكت حتى جادت عيناي بالدموع لما قرأت كلاماً تقول فيه إن كثيرين من مخطّئي كتاب هذا العصر كالشرتوني وغيره سبقوني الى منع هذا الاستعمال ولقد اشتبهت عليَّ وجهة هذا الكلام فاما أن تريد به تصويب منعي لاستعمال ماذكر مصرحاً أن السواد من جلة العلماء وعمدائهم ومنهم الشرتوني تداعجوا جميعاً على إنكار ما أنكرت وهذا لا أحسبك تعنيه وإما أن تريد به أني وإياهم هائمون في مفاوز الضلال وأنك وحدك مبصر رشدك وهذا ما أراك تذهب اليه فتفسّح في ما خُيل اليك يا مترفّعاً عن الاشكال.

وأما المأسوف عليه الشرتوني وجماعة غيره ممن تقول إنهم مخطئون لكتاب هذا العصر فلم اعهد لأحد منهم تخطئة في صحيفة ولو قدّر أن ما تقول لا ريب في صدقه ما كفى ذلك عن الاحتذاء على سنتهم في الانتقاد إذا كانت تلك السنّة هي المثلى . وليس المقصود من النقد أن يشاد بذكر الناقد في الارجاء وقرع الاسماع برنين صيته بل المقصود أن ينبه الكاتب على مواضع النكير من كلامه ويبصر مواقع الهدى فما لنا وما للناقد فدعه أياً كان وها أنت ذا لا تجهل أن المذكور بالترحيم عليه الشيخ ابراهيم اليازجي كان حجة أهل النظر والانتقاد واني وثقت له بعد موته عهداً أوجبت على نفسي أن لا أحله إلا بزهوقها ومع ذلك فقد وقفت في (عثرات الاقلام) على بضعة حروف منها البرهة والمنتزه سبق المجمع العلمي الى انتقادها فصوبت انتقاد المجمع ولم أقل له أبرّ اليازجي عليك لأنه استولى قبلك على المدى ذهاباً الى أن احتذاء الواحد على مثال الآخر لا يعدّ غمزاً لفضل المأخوذ عنه اذا كان القصد نبيلا وهو إصلاح الفاسد ففي العصور الخالية برز جهابذة من الممعنين في التحقيق كالحريري وابن قتيبة وابن أبي الحديد وعبد اللطيف البغدادي وغيرهم وانتقدوا الكتاب جارياً كل منهم على منهاج سواه في ما انتقد غير ذاكر عنه

كلمة تدل أن له القـدم السابقة فى مافند من اللفظ فمثل ذلك لا يعدُّ سُبةً وخزياً فانما الخزى كل الخزى لايحط عمن يبدل لفظاً بلفظ من كلام الذين هم فياصل الاحكام زاعماً أنه يؤيد بذلك حجته ويزيف برهان سواه . ومما استغربته قولك (ولو فرضنا أن التعبير تعبير أعجمى فان « كذا » له أمثالا فى العربية فقد قالت العرب ظمئ اليه أى الى لقائه اشتاق) ماأدق فهمك لمطاوى الكلام ولولم تكن أيقظ فؤاداً من كل من يغنيه الرمز عن العبارة ماربطت لمثل هذا المقال جأشاً فما دليلك على أن تركيب قول القاموس ظمئ اليه يماثل تركيب قولك (هو رجل بكل معنى الكلمة) فمن لاتمتنع الاحكام من الانقياد لأمره لاتتعذر عليه إبانة وجه الشبه بين التركيبين فانى لمتوقع منك أن تردَّ الواحد منهما الى نظيره بالتوجيه البيانى السديد وأن تمنَّ علىَّ باعراب قولك بكل معنى الكلمة إعراباً صحيحاً لاتخرج به عن الاحكام المبسوطة فى أسفار النحاة فقسماً بغزارة مادتك واستبحارك فى اللغة لقد تمكنت منى الدهشة والحيرة ساعة قرأت فى كلامك أن قول العرب ظمئ اليه وقرم الى لقائه من التعابير المماثلة للتعابير الأعجمية ، وكدت لاأصدق أنك لاتتثبت فى ما تنقل من كلام غيرك وأنت مدع أنك من صيارفة الكلام .

***

فعليك أن تفقه أن قول البلغاء ظمىء اليه وعطش اليه وجاع اليه وقرِم اليه مجاز منقول عن معناه الى معنى يلابسه وهو الاشتياق وانه من أرصف التعابير العربية المحضة وأمتنها نسجاً ولا شيء فى ذلك يعتاق فكر المتكلم عن عبوره من اللفظ الى المعنى أو من المعنى الى اللفظ وزاد فى عجبى منك قولك انه من التعابير التى نقلها العرب «على زعمك» الى لغتهم فى عهد زهوها . ومن التخليط فى الكلام قولك « لان اللغويين لم ينبهوهم عليها » فهل العرب ينقلون وهم لاينتبهون فيحتاجون الى أن ينبههم اللغويون على مانقلوا فان كنت تذهب الى أن التميمى والأسدى والكنانى وغيرهم من العرب الخلص يتلقنون الاوضاع من صاحب القاموس

فياله من عملٍ صالحٍ　　يرفعه الله الى أسفلِ

وقد زاد فى الزمانة علة والطين بلة والغفول زلة انك تتهافت على نقل مايقال من غير روية ولادليل ولست بفارق بين خطأ ماتنقل وصوابه فاذا ادعيت أنك على بينة مما نسخته من التاج فتفضل عليَّ بتفسير الكلام المنسوخ منه بقلمك الطويل العنان وهو : قالت العرب ظمىء اليه أى الى لقائه أشتاق . قال شيخ مصنف التاج : والمصنف كثيراً مايستعمل المجازات الغير المعروفة للعرب ولا بد أن أغفل التنبيه على مثل هذا وهو كذلك ولكن مارأيناه نبه إلا على الأقل من القليل كما ستقف عليه اه . وفى الاساس ومن المجاز أنا ظمآن الى لقائك أى مشتاق ونبه عليه الراغب وهو مستعمل فى كلامهم كثيراً ،، فهذا كل مانقلته من التاج ولكنك لم تتركه متسقاً كما كان بل قدمت مايقتضى المقام تأخيره وأخرت مايقتضى تقديمه لأرب فى النفس سنفضى اليك بسره فعهد الله عليَّ وميثاقه أن مداركك لم تبلغ الى مانقلت فلو كنت محيطاً بشىء منه علماً ما تركت قلمك يتمادى فى طغيانه ولقد كنت عازماً فى بادىء الأمر أن أترك عهدة تفسير هذا الكلام على رويتك وحدَّة فهمك ولكنى أعرضت عن عزمى إشفاقاً على عينيك من أن ينالهما الأذى من سهر الليالى وحذار أن تكدَّ نفسك فى التروى فتخذلك القوة والنشاط فتقعد بك الهمة عن استجلاء الغوامض ، بيد أنى أرغب اليك ألاَّ تتصدى فى مستأنف زمانك لرد حجة بكلام يردها عليك . وقبل الشروع فى إخراج مانقلته من ظلمات الغموض أسألك لماذا قلت فى فاتحة منقولك : « وقالت العرب » ولم تقل قال فى القاموس جارياً على أسلوب المحققين فقولك قالت العرب « كذا » يستدل منه أنهم قالوه بمسمع منك ومرأى أيهون على الناس أن يدعوك لغوياً وأنت تجهل المنهاج الذى يجرى عليه أهل اللغة . قال أبو زيد « لا أقول قالت العرب إلا اذا سمعته من هؤلاء : بكر بن هوازن و بنى كلاب و بنى هلال أوعالية السافلة أوسافلة العالية و إلا لم أقل قالت العرب » وأسألك أيضاً ماالذى أغراك بتحويل كلام الاساس من موضعه الى موضع آخر فانه

كان بعد قول صاحب القاموس « ظمىء اليه أى اشتاق » فالشارح أراد أن يؤيد أن ظمىء اليه مجاز فعقبه بما قال الاساس « ومن المجاز أنا ظمآن الخ » فبقاؤه فى موضعه يرد حجتك بأن ظمىء من التعابير الأجنبية التى نقلها العرب جميعاً (على زعمك)لان اللغويين « كذا » لم ينبهوهم عليها . فتمدح بهذا المقال المطرد السياق وأنت نقلت من التاج قول شيخ الزبيدى وهو «ولا بد أن أغفل التنبيه على مثل هذا» وأتبعته بقول الزبيدى «وهو كذلك» فصار القولان لقائل واحد فهل يقال « لابد أن أغفل كذا » فان كان ما نقلته صحيحاً فما معناه وان كان خطأ فما صوابه ؟ .

* * *

فأنت نقلته من التاج بالحرف الواحد وفيه الخطأ المطبعى فكان من المقضى عليك أن تجعل رويتك الصادقة تتولى تصحيحه قبل أن تثبت به حكمك ياقاضياً فى اللغة . ومن غريب الاتفاق أن العلامة الشيخ الأزهرى الموكول اليه تصحيح التاج وملاحظة طبعه رابه الشك فى العبارة فرقم على حاشية الصفحة العبارة الآتية وهى (قوله أن أغفل لعله سقط منه «لا» بدليل بقية العبارة) فقول الشيخ الأزهرى « لعله سقط منه » يعنى به أن العبارة كان أصلها ولا بد أن لا أغفل وذلك كلام ساقط لايرجع الى محصول وهو خطأ فى الصناعة لأن لا اذا وليها الماضى ولم تكن للدعاء وجب تكرارها فيقال لا أكل زيد ولا شرب غير أنى أظن أن مثل العلامة الأزهرى لايقول ذلك فلعله زلة من زلات مرتب الحروف فالقرينة المعنوية تدل أن أصل العبارة كان هكذا « ولا بدع ان أغفل التنبيه على مثل هذا » فبرئ الكلام من وصمة الخطل وهاءنذا أفصح لك عن مضمون مانقلته من التاج ولم تتدبره فأقول : من المجاز ماهو معروف عند العرب ومنتشر بين خاصتهم وعامتهم وهو الدائر على ألسنتهم والمالئ لأسماعهم كقول صاحب القاموس ظمئ اليه أى اشتاق وغير ذلك مما يكلف استيعابه النفس رهقاً شديداً فهذا المجاز وهو المعروف عند العرب لايزاول مصنف القاموس التنبيه

عليه كما يزاوله الراغب وصاحب الأساس وغيرهما لأن الخطة التى خطها لنفسه والتزمها فى كل قاموسه أن يقتصر على تفسير اللفظ المجازى المعروف عند العرب غير منبه على أنه من المجاز كما نبه عليه الراغب وصاحب الأساس وسعى على هذه الوتيرة من أول كتابه الى آخره ولهذا لم ينبه على أن ظمئ اليه بمعنى اشتاق اليه مجاز فمهد شيخ صاحب التاج له العذر بقوله « ولا بدع ان أغفل التنبيه على مثل هذا » فتنبيهه عليه بأنه مجاز مخالف للطريقة التى توخى منهجها .

ومنه (أى المجاز) مالم تعرفه العرب وهو ماأحدثه أرباب النظر بعد الفتح الاسلامى وتواضعوا على استعماله لأنهم لم يروا لهم مندوحة عنه كالصلاة والزكاة والمؤمن والكافر والمنافق وغيرها من المصطلحات العلمية كالنحو والصرف والبيان والمنطق والعروض وهلم جرا فمثل هذا المجاز لم يكن معروفاً عند العرب ولكن المصنف صرح أنه أحرز فى قاموسه كل ماسمعه من الألفاظ المحدثة وما رآه منها فى أسفار غيره من الأيمة كالصاغانى والراغب والزمخشرى وغيرهم وأنه نبه على أنها ليست من الكلم المعروفة عند العرب فهذا مايريده شيخ صاحب التاج . وأما الزبيدى صاحب التاج فقال « وهو كذلك ولكن مارأيناه نبه إلا على الاقل من القليل كما ستقف عليه » فهذا الكلام لم تبلغ منك المشقة فى إحرازه كما بلغ منك الجهد الجاهد لادراك ما آله فلم تدركه ومع ذلك فقد جرت به النار إلى قرصك ولم ترفيها جدوى عليك .

فما رأيت كاليوم رجلا مثلك يرد بمالم يفهمه حجةً أبين من عمود الصباح أفتدعى أن قولك هو الفصل بين الحق والباطل وأنت لاتعرف فصل الحقيقة عن المجاز ولا فرز المجاز المعروف عند العرب مما هو من وراء معرفتهم . ومن أغرب الغرائب قولك « ظمئ اليه بمعنى اشتاقه مجاز لم يعرفه العرب » . ولم تقف عند هذا الحد بل تجاوزته فقلت : هو تعبير أعجمى نقل الى العربية . ومن مذهبك أنه شق هو وقولك «فلان رجل بكل معنى الكلمة» من سرحة واحدة فانى لمستحفظ ذلك حافظتك وحدها مستأمناً إياها عليه ومن رغائبى أن تكون به

ضنيناً على الصبية الاحداث . واعلم أن امرأ القيس لو نشر اليوم من حفيره الذى طوى فيه وسئل مامعنى اللغز لقال هو جحر الضب أوقيل له مامعنى الصوم لأجاب هو الامساك عن العمل وأما معناها المجازى فما وصل اليه علمه . غير أنه لو سئل مامعنى ظمئ اليه لقال فى مثل لحظة العين هو اشتاق اليه .

* * *

يافلان بحرمة دعواك لتدعن اللغة وشأنها فاذا لبثت تتمرس بها نالتها منك المعرة فان أمانيّ لمنبسطة الى أركان المجمع العلمى الأدباء ولا سيما الكاتب البارع عميدهم الفاضل ألاّ يواضعوك الرأى فى ما يضعون رعاية لعزتها وشرفها اليافع . ومما لا ينازعنى الريب فيه أنك ذاهب الى أن المولد والمجاز كركبتى بعير وأن العامى والمولد صنوان متشاكلان أو زندان فى إناء ففى مقالتك كلام يدل على أنك لا تميز الواحد عن الآخر واذا هممت أن تخرج نقى الثوب مما به ترمى فان تعليلك لتوليد « العمود » وغيره يجر إليك الخطل ومع ذلك فان صدرك كاد ينشق مخافة أن ينكر عليك انك البحر الزاخر الذى لايقاس غوره فاندفع بعضك على بعض كما يندفع عباب فى البحر على عباب وأنكرت توليد العمود بعد أن انبسطت اليه بأنسك وجعلته مهوى لفؤادك فشاورت نفسك فى الحكم فسنح لك من حصيف الرأى أن يكون العمود معرباً « كذا » تعريباً معنوياً عن الاعجمية كغيره من سائر ماذكرته من الحروف فلأى أمر أرجأت عن طلابة العلم هذه الأملوحة الى الآن ، وأقطع برهان على أن رأيك فى اللغة متناه فى الجزالة والاصالة أنك لاتثبت على مذهب فبعد أن كنت نازعاً الى أن العمود معرب عن الاعجمية تعريباً معنوياً « كذا » تخليت عن ذلك ونزعت الى أنه نوع من المجاز ، ودليل ذلك قولك (وهذا فضلا عن أنه « كذا » سمى كذلك من باب المشابهة « كذا » لأن الاسطر التى تصف شيئاً فوق شئ تشبه العمود) بخ بخ در فى خلخال فللّه درك من متفنن يخلب العقول بتحريره الكلام . فما رأيت قاضياً غيرك يستخرج المخبآت بلا كد ولا نصب وهو متربع فى محكمة المعقول او المنقول وهل

رأيت جهبذاً نحريراً سواك عرف أن العمود لفظ مولد ومعرب عن الاعجمية تعريباً معنوياً ومجاز جديد منقول من العمود الى العمود فذلك فتح قصر عنه غيرك من حماة الحقائق وأى محصل عداك يطلق له ان يتقلب فى اللغة كيف شاء أفلست وحدك اعتسفت عن الطريق التى شرعها الأيمة الغابرون ، ومن الغرائب ان الناقدين لكلام اهل اليراع يضربون عن اعتسافك ويتركونك تمادى فى استعمال ماعلى الكتاب ينكرون ، وما عجمت عيناى أحداً سواك أباحوا له أن يقول « وهذا فضلا عن أنه » فعلق هذا القول بحافظتك حتى اذا زيف مناظر حجتك فاستطل عليه بقولك من حفظ حجة على من لم يحفظ لأنك وحدك الحافظ لاستعمال «فضلا عن» فيامتميزاً عن آحاد زمانه بمعرفة الكلم المعربة سمعت ذات مرة أنك فطن ذكى الفهم فعلامَ لاتتفهم أن العمود كلمة عامية لامولدة فماذا لبثت معتصما بقولك عاهدتك أنى لاأرفع لأحد حجاب مسمعى فتعلم أنى لاأدعى أنى وحدى أنكرت استعمال العمود للجريدة فقد سبقنى الى هذا الانكار المأسوف عليه صاحب الجوائب ولكنه لم يبدل به لفظاً يغنى الكتاب عنه فقد دعا رحمه الله علماء الأزهر الى أن يوجهوا عزائمهم الى إنشاء مجمع علمى اليه يرجع فى المشكلات واليه يعهد فى وضع الألفاظ الحديثة مصرحاً أن الدواوين المصرية يستعمل فيهامن اللفظ اللغو والساقط شىء كثير مع أن مصر هى القطر الموكول اليه تهذيب اللغة و إصلاح فاسدها ، ثم ذكر عمود الجريدة وألفاظاً أخرى عامية تستعملها الوقائع فلخص الشيخ رشيد الدحداح ماقاله ونشره فى برجيس باريس فتصرمت منذ ذلك الحين الى الآن أعوام من الدهر ولم نسمع لصرخة الشدياق فى وادى النيل صدى . فلما انتهى إلىَّ فى هذا العهد أن المجمع العلمى فى دمشق آخذ فى توليد ألفاظ حديثة لاسبيل لكتاب الجرائد إلا اليها اردت استطلاع رأيه فى بضعة ألفاظ منها عمود الجريدة وانكرت عليه صحة نقده حروفاً قليلة ذكرتها فى المقالة الأولى فأحفظ ذلك الشيخ المغربى علىَّ فهبت الرياح الزعازع واختلط المرعى بالهمل كأن الأرض زلزلت زلزالها . وأما أنت فطمرت الى طمور

الظبي الشارد تستقطر مني الخبر مدعياً أنك زائر خاطب لمودتي ومجمل لعشرتي. ولما غنمت حاجتك انقلبت الى بلدك والحفيظة بك تفور حماية لذمار «العمود» وغيره من اللفظ العامي كأني بك تقول لاحولن العمود عن موضعه مابل السيل المنهمر صوفة . فاذا كنت لاتطمئن إلا الى العمود فاستقل به وحدك واسترفد به مرفقاً عن نفسك فانه لك الركن المنيع .

* * *

يامحترم . من اعظم البلايا أن تكون لى مناظراً فكأنك وثقت لنفسك عهداً بأنك لاتفهم ماأقول فانى انكرت على حملة اليراع قولهم (تلك الدولة متحايدة) لأن التحايد غير مسموع فأثارتك على البادرة تزعم أنى اتيت أمراً فرياً ثم تفننت فى التعبير قائلا « وأما ابدال الحياد بالاعتزال فجناية » فان تعبيرك أدى الى بأنك مبرٍّ لنفسك ماواثقتها وهو أنك لاتفهم معنى ماتقرأ فانى لم أبدل الحياد بالاعتزال ولا الاعتزال بالحياد ولكني أبدلت الاعتزال بالتحايد فقول الكتاب هذه الدولة متحايدة يريدون به انها متباعدة عن الحرب صيغة غير مسموعة ولا يباح للمحدث أن يبنى لفظاً من لفظ غير مسموع . وأما الحياد فهو مصدر لفعل متعد هو حايد فتقول حايدت زيداً اذا بعدته بتشديد العين فلا يقال هذه الدولة محايدة بمعنى متباعدة بل يقال هى محايدة لغيرها فالاعتزال حقيق بأن يستعمل هو لا غيره مما ذكر وأما ماأوردته فى المقالة التى صعدت نظرك فيها وصوبته من الادلة على صحة استعماله فلا اتكلف الزيادة فيه ، وقبل ان انتقل من الحياد الى غيره اتنصل من الجناية التى اتهمتنى باقترافها . فما الذى أغراك بأن تقولنى مالم أقل فان من يفترى على غيره قولا مكذوباً يعدُّ ولا ريب مجترحاً جناية فكل من قرأ كلامى يشهد أنى أريد إبدال الاعتزال بالتحايد لا إبدال الحياد بالاعتزال فان تأنقك فى التعبير يقضى على انى أريد استعمال الحياد لا الاعتزال وذلك ماتريده أنت فادخال الباء على الاعتزال يلزمك أن تقر أن استعمال الحياد خطاء صراح وأن استعمال الاعتزال صواب لامذهب لك عنه واذا أصررت على استعمال الحياد وعلى ابقاء الباء فى الاعتزال كان كلامك رمياً على عواهنه ورأيك فى اللغة

لايزال فطيراً ووجب عليك أن تتعظ بما قال زياد :

إذا سُدَّ بابٌ عنك من دون حاجةٍ فدعهُ لأخرى لينٌ لك بابها

ومن العجب أنك تتولى القضاء ، وأنت لاتدرى أين تضع الباء ، فاذا أبدلت هذا بذاك كان هذا مأخوذاً وذاك متروكا ويجوز إحلال «من» محل الباء والمآل واحد لأنهما كلتيهما للبدل فيقال أبدلت هذا من ذاك فما دخل عليه الحرف يقال له المبدل منه وما لم يدخل عليه يقال له المبدل ، ومن كان متشبعاً مثلك من الأحكام النحوية لايخفى عليه ذلك ، ويدهشنى كثيراً أنك مصر على استعمال الحياد بدلامن الاعتزال ومع ذلك فانك معترف بأن من استعمل الحياد مقترف جناية أفلست القائل « وأما ابدال الحياد بالاعتزال فجناية » فكلامك المحكم الاداء لاينبو عنه فيم أحد لأنك لم تضع لفظاً منه فى غير موضعه ، وأنت قلت « أخطأ فى اعتبار البرهة الزمن الطويل مقلداً فى قوله هذا الشيخ ابراهيم اليازجى والحال أن البرهة تفيد المدةطويلة كانت أوقصيرة» .

والله إنها لمحنة لاطاقة لى على التجمل فيها فمن ذا لايتحامل على نفسه ومناظره لايروقه من الكلام غير سفسافه ، فهل رأيت محصلا يقول أخطأ فى اعتبار البرهة الخ والحال أن البرهة تفيد كذا ويقول « طويلة كانت أو قصيرة » .

* * *

يافلان . لقد كنت أظن أن ماوراء ظهرك لايرام فأطشت بأقوالك سهم ظنى ولذلك شق علىَّ أن ارفعك فوق قدرك أو أخيط لك برداً يطأ أخمصاك أذياله غير أنى أشير عليك بأن تعمد الى كل ماهو أحمد فى العقبى فأنت وإن تكن ذكى الخاطر حصيف اللب لم تحرز من آداب اللغة إلا شيئاً يسيراً لاتستدر منه جدوى ولا يسهل عليك تأليف عبارة خالية من حزازة فتلمس كتاباً واضح التعبير لطيف الاشارة وتخرج به على أديب من ذوى العلم الواسع وتدرب بآداب البحث وتبصر فى كل ماتتلقنه ممن تتنسم علمك منه واستصبح بآراء من حذقوا العلم ومهروا فيه فان أعقل الألباء ليس له غنى عن مشاورة غيره من ذوى الحصافة والرشد فمن استرشد الذين أنضج الدهر آراءهم وخمرها شاركهم فى

عقولهم وحذار أن تقتضب فهم مسألة برأى نفسك فان فى ذلك مهواة يشتد عليك ان تتملص منها . ولا تنكرن على تعمدى لك وجوه النصح فأبر المخلصين من يهدى خليطه الى عيوبه . وفى مأثور الحكم ودك من نصحك وقلاك من مشى فى هواك ، وخير الرجال من احتمل أبهظ النصائح . ومما لا يعترينى الريب فيه انك ستأتم بنصيحتى بعد تقليبى ما بقى من كلامك بطناً لظهر فاسمع غير مأمور :

قال المأسوف عليه فقيد اللغة ان البرهة موضوعة للزمان الطويل و إيراد بعضهم إياها بمعنى الزمن القصير خطأ ، وقال الشيخ المغربى القول نفسه ، اما انا فصوبت ماقال الشيخ المغربى ولم اعيره ان الشيخ اليازجى سبقه الى ذلك القول حذراً من ان تستخفك علىَّ فورة الحنق فتقول لا تثريب على الشيخ المغربى إن نحا نحو غيره فان اليازجى احتذى على الطريقة التى نهجها كل جهابذة اللغة فلماذا لا تعيره ذلك ولكنك اتيتنى بما خفض جأشى وأزال حذرى وهو تفنيد قول الشيخين وايمة اللغة جميعاً بقولك « ان البرهة تفيد المدة طويلة كانت او قصيرة » وايدت قولك بما نقلته من المصباح وهو « مضت برهة من الزمان اى مدة» ولفرط دالتك على اهل اللغة تسنى لك ان تسند اليهم قولا لم يقولوه وهو « وقال اللغويون فى تفسير المدة : البرهة من الدهر تقع على القليل والكثير » فالذى يقرأ مانسبته الى أهل اللغة ولم يطالع مافى المصباح يقطع أن البرهة تقع على قليل الزمن وكثيره فما الذى قطعك عن التصريح باسم أحد اللغويين الذين تتقول عليهم هذا القول فلم يقل ذلك أحد منهم فضلا عنهم جميعاً . وما الذى دعاك أن تنقل كلام المصباح متزيداً فيه أيباح لك أن تبتدع كلاماً مفترى تعزوه الى غيرك أما هتك الذعر شغاف قلبك غداة سرَّجت هذا القول فقد لزمك أن تقوض دعائم مجدك متصاغراً للجبار عز وعلا تسأله وأنت بال بالدمع نحرك أن يعيذك من رجزه ويجود عليك بستره لجريرتك فانك لا تخذل اذا استجديته على طريق اليقين . وفى حسبانى أنك ستتبصر مواقع الهدى فى ما سوف تكتب بعد أن أهديك الى مواطن الخطأ فى كلامك : نقلت عن المصباح قوله فى مادة بره

مضت برهة من الزمان أى مدة فدب من هذا التفسير الى ذهنك أن كلا من المدة والبرهة يدل على القليل والكثير من الزمن فلو زاولت مدة قصيرة طرق أهل اللغة فى التفاسير ماضاع معنى قول المصباح عن ألمعيتك فاذا قال اللغوى البرهة هى المدة أو المدة هى البرهة فانه يريد أن الواحدة تدل على الزمان كما دلت عليه الأخرى ولا يقصد أن مقدار زمان هذه كمقدار زمان تلك ، ولا يذهب عن تلهب ذكائك ان الاسم الذى يدل على القليل من الزمن او الكثير منه يجوز ان يضاف الى إسم معلوم مقدار زمانه كالسنة والشهر واليوم والساعة ، فيتعين حينئذ مبلغه هل هو قليل او كثير فتقول مكثت عنده مدة سنة او مدة شهر الخ وأماما لا يدل إلا على الزمان الكثير كالبرهة فلا يجوز فيه ذلك لأن إضافته الى ماهو معلوم المقدار منافية لوضعه فما نقلته عن المصباح قصدت ان يكون حجة لك مع انه حجة عليك فانك افتننت فى النقل افتناناً يشهد أنك الثقة المأمون على كل ماتنقل فقد اثبت الفيومى فى مصباحه ان المدة تقع على الزمن القليل والزمن الكثير فرأيت ان من الحكمة ان تبدل من المدة البرهة وتقول البرهة تقع على القليل والكثير وهاك ماتزعم انه كلام المصباح « قال اللغويون فى تفسير المدة : البرهة من الدهر تقع على القليل والكثير » فمن مر بصره بهذا القول جزم أول وهلة أن البرهة مبتدأ أخبر عنه بوقوع قليل الزمن وكثيره وأن الجملة كلها هى كبرى واقعة مفعولة لقول اللغويين وأن تفسير المدة لايزال فى خزانة ضميرك وفى ذلك خروج الكلام عن وجهه .

* * *

وهاءنذا انقل لك كلام المصباح بلفظه وأعقبه بتفسير صريح لايمتنع على من حصل شيئاً يسيراً من لسان العرب قال فى المصباح : المدة هى البرهة من الزمان تقع على القليل والكثير فاللبيب لا يُستغلق عليه أن المقصود بالتفسير هنا هو المدة لا البرهة ولو قصد تفسير البرهة وأريد أنها تقع على القليل والكثير لقدمت على المدة وقيل البرهة هى المدة من الزمان تقع على القليل والكثير وليس من المألوف أن يفسر أصحاب المعاجم الكلم فى غير مظانها فقول المصباح المدة

هى البرهة تقع على القليل والكثير مقطوع به أن الضمير فى تقع يعود إلى المدة.
ولو عاد إلى البرهة لكانت الجملة الفعلية التى تليها حالا لها ومن المعلوم أن الحال
قيد لصاحبها فيكون مآل الكلام المدة هى البرهة واقعة على القليل والكثير ،
وتصير البرهة وقيدها حينئذ تفسيراً للمدة مجردة من القيد وذلك خطأ فى الصناعة
لأن الزمانين اذا كانا متساويين فى المقدار يخبر بالواحد منهما عن الآخر مجردين
عن القيد فيقال البرهة هى الردح أى أن البرهة اسم يدل على الزمان كالردح وإذا
أريد التعيين لمقدار زمانهما قيل البرهة هى الردح وكلاهما المدة الطويلة من الزمان.
ولا يجوز أن يقال البرهة هى الردح تقع على الزمان الطويل كما قيل المدة هى
البرهة تقع على القليل والكثير لتساوى البرهة والردح فى مقدار الزمان وعدم
تساوى المدة والبرهة فيه ، ولمعترض أن يقول ذكرت أن الضمير فى تقع يعود إلى
المدة فاذا تقرر ذلك كانت تقع وما يليها حالا من المدة على مذهب سيبويه ،
وحينئذ تصير تلك الحال قيداً للمبتدإ الذى هو المدة يشاركه فى وقوع الحكم
عليه فيثبت أن البرهة تقع على قليل الزمان وكثيره كالمدة لأن حكم الخبر
يجرى على القيد كما يجرى على المقيد فأقول : يُقعد تحت هذا الحكم إذا كانت
الحال الواقعة قيداً للمبتدإ متقدمة على الخبر نحو المدة واقعة على القليل والكثير
هى البرهة وأما اذا كان الخبر متقدماً عليها ظهر الكلام مختل الأداء للاخبار
عن المبتدإ قبل تمامه ولذلك عابوا على أبى الطيب قوله :

وفاؤكما كالربع أشجاهُ طاسمهُ   بأن تُسعدا والدمع أشفاه ساجمه

فقول أبى الطيب «وفاؤكما كالربع» مبتدأ وخبر والباء من قوله بأن تسعدا متعلقة بوفاء
وذلك من الضرورات المتناهية فى القبح لأنها هى ومجرورها قيد للمبتدإ ولا بد
من تأخير الخبر عنه لئلا يقع المحذور وهو الاخبار عن المبتدإ وقد بقيت منه بقية
فاذا أشكل عليك فهم ذلك من بيت المتنبىء تسنى لك ادراكه من قول المعربين
زيد وعمرو قائمان فهذا القول مركب من مبتدإ وهو زيد وقائمان وهو خبر وتابع
للمبتدإ هو عمرو معطوف عليه بالواو وأنت تدرى أن التوابع قيود لمتبوعاتها ولا

يجوز أن يكون عمرو مبتدأ آخر لئلا يتوجه عاملان على معمول واحد فاذا أخر قيد المبتدإ عن الخبر صار الكلام زيد قائمان وعمرو وفى ذلك فساد متناه فى القبح لأنه أدى الى الاخبار عن المبتدأ قبل تمامه فيصلح حينئذ الفاسد بأن يقال زيد قائم وعمرو أى وعمرو قائم أيضاً وكأنى بمعترض يقول اذا كانت جملة تقع على القليل والكثير ليست حالا من المدة ولا من البرهة فما موضعها من الاعراب فأقول لاموضع لها منه فانها مستأنفة و بينها و بين ماقبلها شبه كمال الاتصال فهى منزلة منزلة جواب لسؤال مقدر اقتضته تلك الجملة المتقدمة عليها ففصلت عنها كما يفصل الجواب عن السؤال فتدبر . ومن الأمور التى تناهت غرابتها أنك نقلت كلاما للميدانى ذكر فيه البرهة مشفوعة بقرائن ناطقة انها للزمان الطويل فجردتها من القرائن ثم تبرعت لها من عند نفسك بتفسير تعزوه اليه وهو براءٌ منه : قال الميدانى «ثم تحولت الى الحىّ بعد برهة »وقلت أنت مفسراً لهذا القول : أى بعد مدة غير محدودة فقد تكون بعد مدة طويلة أو بعد مدة قصيرة كالهنيهة وأما القرائن التى يعرف بها زمان البرهة هنا فانك ضربت صفحاً عن ذكرها فانى لذاكرها ملخصة لأن المقام لايبيح ذكرها بحروفها وهاك ملخصها :

* * *

زعموا أن امرأة خرجت فى عهد لقمان بن عاد عن طاعة زوجها ناقضة ميثاقه فسول لها الفجور أن تنحرف عن ظله وتنقبض عن عشرته فلاذت بخديعة مالأها عليها رجل متهتك فندا معاً عن حيهما وضربا أطنابهما فى حى لم يعرف أحد من أهله شيئاً من أمرهما ولا رمقهما يوماً بنظر « ثم تحولت الى الحى بعد برهة » فبينا هى ذات يوم قاعدة مرت بها بناتها الثلاث فنظرت اليها الكبرى فقالت أمى والله قالت الوسطى صدقت والله فقالت المرأة كذبتما ماأنا لكما بأم ولا لأبيكما بامرأة فقالت لهما الصغرى أما تعرفان محياها وتعلقت بها وصرخت انتهى . فياقاصراً نفسه على التنقيب عن الدقائق ماقولك بحى سافرت اليه امرأة من حيها فضربت خباءها على كثب من أهله وهم لايعرفونها ولم يقفوا على شىء من أمرها أتراه قريبا من الحى الذى برزت منه وما قولك فى مقدار الزمان الذى

انقضى بين خروج المرأة من حيها ورجوعها اليه أكان هنيهة وزمان الهنيهة لايتجاوز الساعة فالمرأة لاتشد أطناب خبائها فى حى بعيد عن حيها إلا رهبة من أذى يسرى اليها من زوجها أفترجع الى حيها قبل تصرم أمد طويل تطوى به ذكراها وينسخ الدهر ملامحها أتقول لبنتيها مالكما بأم ولا لأبيكما بامرأة إن لم يخيل لها أن سيماءها حالت بطول العهد وهل تقول البنت لأختيها أما تعرفان محياها اذا كان زمان قطيعتها لهن هنيهة فان كان ذلك لايربأ بك أن ترعوى عن رأيك الواهن فاسمع ماقال صاحب القاموس فى مقدمته « كنت برهة من الدهر ألتمس كتاباً جامعاً بسيطاً ومصنفاً على الفصح والشوارد محيطاً ، ولما أعيانى الطِّلاب شرعت فى تأليف كتابى الخ » فصاحب القاموس يقول لبث برهة يلتمس كتاباً من أمره كيت كيت فأتعبه الطلاب وأعجزه عن الوصول اليه أترى أن تلك البرهة كانت هنيهة أى نحواً من ساعة . وإن أصررت على الاعتصام بقولك غير معرض عن مزاولة الخطأ فارفع لما قال ابن السكيت حجاب مسمعك فانه ذكر فى كتابه اسماء أزمنة لاتدل إلا على الطويل منها وصدرها بالبرهة فقال اقمت عنده برهة من الدهر وهبة وسنية وسبة وملاءة . وإن ظللت غير مذعن للحق ولا مستقيم على المنهج الامثل من ادب المناظرة فاقصر حبل دعواك وتهيأ لما سأسمعك من قول حامل لواء اللغة الامام ابى عبد الله الخطيب الاسكافى :

للاسكافى المتوفى فى سنة ٤٢١ هجرية سفر فى اللغة من أجلّ الأسفار وأصحها استخرجه من كتاب العين للخليل بن احمد ونوادر ابن الاعرابى وحروف ابى عمرو الشيبانى ومصنف أبى زيد وجمهرة بن دريد الأزدى ونهج فيه منهج ابن السكيت فى تهذيب الألفاظ وابن سيده فى المخصص :

قال فى باب الأزمنة والأوقات : أقل مقدار كل من الدهر والمسند والبرهة والعصر ستة أشهر فتقول مكثت عنده برهة اذا كان زمان مكوثك ستة أشهر أو تزيد . فما رأيك فى البرهة بعد إيراد هذه النصوص الصريحة فوالله لتحدثنى الظنون أنك ستستمر مصوباً رأى نفسك قائلا إن من تريد أن تستظهر بهم على لاتثبت

أقوالهم من طرق الادلة الواضحة لأن المنية انشبت فيهم أظفارها ومع ذلك فانهم كلهم هاموا فى مفاوز الضلال لأنهم لم يحتذوا على مثال الذين عربوا عن الاعجمية تعريباً معنوياً ولذلك فقد جعلت قيادى فى أيدى المتأخرين لانهم وحدهم زاولوا التعريب المعنوى وعرفوا به أن البرهة تقع على قليل الزمان وكثيره فأقول إن كنت لا تأتمر إلا بأمر المتأخرين لزمك أن تنصير العلماء المحققين كالشيوخ نصر الهوريني واحمد فارس الشدياق والشيخ ابراهيم اليازجى فانهم من المتأخرين الذين عابوا استعمال البرهة للزمن القليل وإن دفعتك الدعوى الى القول إن طريقتهم لاتسلك لانقضاء أيامهم من هذه الدنيا صرفتك عنى الى المجمع العلمى فهو لايذهب الى رأيك لأنه قبح على فريق من ارباب الصحف إيراد البرهة بمعنى الزمن القصير فناهضه وحدك فيرميك (الشيخ المغربى) بسكاتك غير مستريب انك مغالط متحكم فى الجدال واما انا فلا اخشن عليك صدرى وإن اثرت علىَّ دفين احنتك وهاانت ذا ترانى اتخلى لك من اليوم عن البرهة وغيرها من الكلم التى اطلعتنى بتمحيص حقائقها على طول باعك وسعة اطلاعك فخفف عن نفسك مؤنة القلق وحل ربقة الوهل عن قلبك فانى لمعتزل نزالك بعد هذه المقالة متفرغا لما هو أهم واذا احببت ان تظل ثابت العقد غير منخذل عن رأيك فوضت امرى الى من لايزال فى ميعة شبابه ولا تخذله القوة .

* * *

ولم يرقك إنكارى لتسمية شئ فى الدار أو ما يقرب منها متنزهاً ولم يغلبك على رأيك أن أصل المادة موضوع للبعد وأن تسميتك به شيئاً مما فى الدار يباين الوضع ويدفعه فكرهت لى من وجهك وانقبضت قائلا « قد يتنزه الرجل وهو على سطح داره اذا كان ذلك السطح مطلق الهواء » فما أمدَّ باعك على تأييد أقوالك وإن عارضتك البينات وما رأيت غيرك يتحكم فى اللغة ويتصرف فيها تصرف المالك فى ملكه وما سمعت بأحد سواك أخرج اللفظ عن معناه الى معنى آخر لم يعرفه غيره قط وهل فى صدور العلماء إمام سواك مكنه الايغال فى التنقيب من العلم أن السطح يسمى متنزهاً أو متنزهاً وأن معنى البعد فى أصل المادة لا يعبأ به .

فحسبك التدلل على اللغـة فان الافراط فى الدلال لايعمد اليه ذوو الحنكة والرصانة . فاذا أردت إسماً لمكان كالسطح ينشرح عليه صدرك و يمتد منه الى الآفاق نظرك فولده من الانفساح وهو لفظ متنه بالحاء التى من خواصها الاتساع الضامن لك بالفرح والارتياح فاذارددت بذلك عن هواك كنت مولداً له من أم ذات حياة غير متحامل على نفسك بتوليده من غير أم فذاك لايستطيعه إلا أبو المعجزات .

فيا قاضياً مبقياً برحمته على الجانى أما تنفست الصعداء مجهوداً وأنت دائب فى السمى وراء بينات تشهد لك بصحة ما تقول . فيا ليتك هاونت نفسك واجتزأت ببينة واحدة يسترسل اليها شرعك الذى لاينقض الزمان مرّته ولا تستبيح الأقدار حوزته . فلو عرفت أن تميز المولد عن العامى لخففت عن نفسك مؤونة البحث ورأيت أن من الأرفق عليك أن لاتمد يدك الى براعة فالمتنزهات من الألفاظ التى كانت كثيرة الدوران على ألسنة السوقة من أهل المغرب وحكمها كحكم غـيرها من الألفاظ التى أحالتها العامة عن أصلها بتقديم حرف على آخر كالمتنزه والمنتزه والتحرش والتحشر والانشداه والاندهاش وقرعـه ورقعه أو إبدال صيغة بأخرى كالمعترّ والمعـتّر وتملق وملق وجول وتجول وغير ذلك مما لا تطرق الخاصة اليه باباً كما قال الفارابى الجامع منه عديداً كثيراً من جملته المتنزهات والمنازه فورود المتنزهات فى مادة صمدح وغيرها فى التاج من الأمور التى لاترد عليك فانه استدرك على القاموس ألفاظاً كثيرة فاتته كالصمادحية والطلح وغيرهما إلا أنه لم يجترئ مثلك على من نقل عنه أن يتصرف فى كلامه بابدال كلام آخر به لأن من ديدنه وديدن كل أهل اللغة أن يوجبوا على نفوسهم الأمانة فى النقل و إن كان المنقول خطأ ففى المستدركات على القاموس أعلام كثيرة لمعان شائعة بين السوقة من الناس نقلها الزبيدى عن مؤرخين لايستسلم الى أحد منهم بالثقة فلم يبدل باللفظ العامى لفظاً آخر فصيحاً لنزوله تحت أحكام القائل إن كنت ناقلا فالأمانة وهذه الطريقة سلكها صاحب التاج فى مستدركاته كلها ولو كان المنتزه لفظاً مولداً فات صاحب القاموس لاستدركه عليه وأثبته فى مادة نزه لا فى

مادة طلح وصمدح وغيرهما فلا يغرنك قول عامة أهل المغرب الصمادحية من منتزهات الدنيا وقولهم الطلح من منتزهات الأندلس فى شرق إشبيلية .

* * *

وهنا أكف عادية اليراع عنك متجاوزاً عن مغامز وفضائح ترحف فى كلامك زحف الدَّبى حتى اذا ندبتنى الى تدبره لم اترك حاجة فى نفس يعقوب ولكنى أقول كما قال العلامة الهمذانى نسأل الله ستراً يمتد ووجهاً لا يسود وحسبنا الله ونعم الوكيل .

واما صديقى العلامة (المغربى) فلا أنكر عليه مجادلتى ومجالدتى بسيف البرهان فقد سبق الى وهمه أنى متهاون بالمجمع العلمى وقارع صَفاته وملين شوكته فعقد قلبه على مساورتى دفاعاً عن ذماره وحماية لحوزته فلم ار سبيلا الى ان اتوهم به سوءاً فأغلظ عليه ملاماً او اتهمه بالتصدى لما ليس من شأنه فأستوحش من جهته لكنى و إن تركته فى سعة من كلامه أعاتبه على استنزاله نفسه فى المقالة الأخيرة الى ما أنا غنى عن الافاضة فيه فطيه اولى من نشره غير أنى لا ارى لى بداً من تقليب النظر فى بعض كلامه الأخير عن الشعر الخصى وأخصى :

قال حفظه الله « ونجتزئ بأن نحيله على سطر فى القاموس واقع قبل السطر الذى فيه عبارة الاخصاء وهو قوله والخصى كغنى الشعر الذى لم يتغزل فيه وهذا كما لايخفى مجاز وقد قاله الزبيدى ايضاً فهل يعترف به الأستاذ أو يدعى ان هذه الجملة محرفة » اه . أقول أعترف بصحة ماقال القاموس ولا أدعى تحريف شئ من هذه العبارة التى نقلها شيخنا (المغربى) ولكنى أعاتبه على تسرعه بالاستدلال بها على صواب كلامه وليس فيها جدوى عليه .

لايخفى على الشيخ الفاضل أن ذوى الشرف الباذخ كانوا يخصون المهَنة ممن عنت وجوههم ثم يأمرون بهم أن يلازموا الخدور يؤالفون فيها المحصنات والحرائر فلا يتغزلون بهن ولا يشببون لأن من الذرائع إلى التغزل والتشبيب الاستهتار بمودة النساء ومعاناة الصبابة والهوى فالخصيان ليسوا بمدفوعين الى ذلك فان العلة التى كانت تدفعهم إلى التمادى فى التصابى قضى أرباب السيادة عليها فصار تغزلهم بعيد المنال وسمى الشعر الذى يتغزلون فيه خصيا مع ان حق الخصىّ ان

يسند الى الفاعل الحقيقى وهو الشخص لا أن يسند الى الشعر غير أنه لما كان الشعر شبيهاً بالفاعل من جهة تعلق الفعل بكل منهما صح الاسناد اليه مجازاً ومثل ذلك شعر شاعر وجد جده .

ومما سها به شيخنا : قوله إن نسبة الخصاء (يريد الاخصاء) الى الانسان والحيوان نسبة حقيقية لأنه عمل واحد مادة وصورة فى الانسان والحيوان كليهما كما اذا قلنا ذبح فلان الحيوان وذبح فلان الانسان فالذبح فيهما كليهما حقيقة .

أقول لو أعاد الشيخ فى هذا القول نظره متبصراً فيه لكان على يقين بأنه تسرع فى الحكم على غير روية فليس بين ذبح والحيوان فى المثل الاول و بين ذبح والانسان فى المثل الثانى نسبة حقيقية أو نسبة مجازية فان النسبة المعروفة عند البيانيين هى أن يسند الفعل المعلوم أو مادل على معناه الى الفاعل الحقيقى وهو ما يقوم به الفعل حقيقة عند المتكلم فى الظاهر .

* * *

وأما أن يسند الفعل المجهول أو ماتضمن معناه الى المفعول الحقيقى فالاسنادان يكونان كلاهما حقيقة عقلية ولكن اذا أسند الفعل المعلوم أو ماتضمن معناه الى غير الفاعل الحقيقى والفعل المجهول أو مادل على معناه الى ماليس مفعولا حقيقياً فذلك الاسناد يقال له مجاز عقلى وأما الحيوان من قول الشيخ ذبح فلان الحيوان أو الانسان من قوله ذبح فلان الانسان فلم يقع الاسناد بين أحد منهما والفعل المتقدم عليه بل وقع بين ذبح وفلان من كل من المثلين لأن النسبة تقع بين المسند والمسند اليه فالمفعول ليس بمسند ولا بمسند اليه . وقول الشيخ « إن نسبة الاخصاء الى الانسان والحيوان نسبة حقيقية » يحتاج الى دليل فاصل ينطق بصحته لأن تعليله إياه بقوله « انه عمل واحد مادة وصورة فى الانسان والحيوان » ليس فيه وجه للسداد فان ما يحسبه علة يثبت بها القول ليس بعلة يحفل بيانى بها أفليس عمل الأمير ومأموره واحداً من قولك قطع اللص الأمير وقطع اللص مأموره فالاسناد فى الأول مجازى وفى الثانى حقيقى والعمل واحد فيهما فمثل العلامة اللبيب يستغنى بالاشارة عن التصريح بالعبارة .

وساءنى كثيراً أن أكون سبباً لانصاب الشيخ نفسه واعناتها بالتنقيب عن نسخ كثيرة من القاموس منها ماهو مطبوع ومنها ماهو مخطوط قائلا أيده الله انه راجع فى جلسة واحدة خمساً منها كتبت منذ مئات من السنين ولم ير واحدة تفسر أخصى بغير التفسير الذى يريده الشيخ الفاضل . فيايها الأستاذ وددت لو اغنيت نفسك عن العناء والمشقة بالرجوع الى قولى إن تفسير هذا الحرف ارتكبت التحريف فيه يد الناسخ الاول ثم سرى من النسخة الأولى الى سائر النسخ ولم يصحح هذا الخطأ احد من النساخ ولا من الذين تولوا طبع القاموس ولقد تعود كل من الناسخين او الطابعين ان يفتخر بأن نسخته مطابقة للأصل لابأنه نقح او هذب حتى اذا تبين له خطأ فى حرف لم يصلحه وإن وقف على صوابه بل اشار اليه بأن يكتب على هامش الكتاب كذا بالأصل تاركاً العهدة على الناسخ الاول . وإن كنت على ريب من ذلك فأوقع بصرك على الصفحتين الثالثة والرابعة من مقدمة لسان العرب وعارض مافيهما بما فى الصفحتين الرابعة والخامسة من مقدمة تاج العروس فيظهر لك أن الناقل عن غيره مقضى عليه بأن لايغير شيئاً مما ينقله وإن كان المنقول خطأ فجرى على هذا المنهاج كل أرباب اللغة وأما صاحب التاج فانه لم يجتزئ بالاعتراف بأنه لم يصحح خطأ بل نقل كل كلام صاحب اللسان بحروفه كأنه منسوب اليه . وقد تطرقت أيها الاستاذ بمقالك الى ذكر العلامة احمد فارس الشدياق وجاسوسه الذى تعقب به القاموس والى ذكر العلامة نصر الهورينى مصحح المطبعة الاميرية فى القاهرة ونسخته المصححة المطبوعة وذكر العلامة محمد محمود الشنقيطى ونسخته المحفوظة فى المكتبة الخديوية والمصححة على النسخة الصلاحية الرسولية قائلا : إنهم جميعاً لم ينكروا على صاحب القاموس تفسيره لأخصى فلو كان فى تفسيره محل للنقد ما توقف أحد منهم عن تزييفه ــ هذا كله مضمون كلامك .

* * *

أقول سرنى كثيراً أيها الشيخ ماأتيت على ذكره فانك هديتنى بقولك الى تعزيز الحجة وتسديد البرهان وإلى حملك على الاعتراف بأن تفسير القاموس

لأخصى غير صحيح وبأن الشدياق والهوريني يذهبان مذهبي ومما زاد فى سرورى إقرارك بأن كلا منهما راسخ فى اللغة يرجع اليه فى المعضلات وان كانا كلاهما متأخرين ولذلك حبب الى ان أطيل النظر فى الجاسوس على القاموس للشدياق فى حاشية الهوريني المصححة وأعارضهما بالقاموس المصحح المطبوع فى المطبعة الأميرية فأيدت تلك المعارضة ما ذهبت اليه فتأهب لما سأطلعك عليه من العجائب غير أنى ارغب اليك قبل ذلك أن تبيح لى أن أذكرك شيئاً قلته فى بعض مقالاتى ارجع عنه الآن وبعده أهدى الطلبة الاحداث من المتأدبين الى منهاج فى تفسير اللفظ يجرون عليه لئلا يتيهوا فى شعاع الوهم ثم اجعل معارضتى للقاموس بجاسوس الشدياق وحاشية الهوريني ختاماً لكلامي وعلى الله الاتكال .

أذكرك بقولى غير مرة ان هذا الحرف لم يثبته أحد من أرباب المعاجم الا الصغانى وأما الآن فأرجح أن الصغانى لم ينقله الى العباب معجمه خلافا لما قال صاحب التاج بل نقله اليه غيره بعد موته وقال العلامة الشدياق فى جاسوسه « ان المنية اخترمته عند تحريره مادة بكم » وذكر بيتين قالهما فيه احد الادباء :

إن الصغانى الذى — حاز العلوم والحكم — كان قصارى أمره — أن انتهى الى بكم

فاذا تقرر ذلك كانت أخصى من منقول من أتم العباب بعده لأن مادتها بعد مادة بكم وكان ابن منظور صاحب لسان العرب يرتاب فى صحة بعض المنقول الى العباب لأن المنية لم تترك له سبيلا الى اعادة النظر فيه وانه لم يكن مطمئناً بالثقة الى من اتمه بعده فلهذا لم ينقل عنه بل نقل عن الصحاح للجوهرى والتهذيب لأبى منصور الأزهرى والمحكم لابن سيده الأندلسى والأمالى لابن برى والجمهرة لابن دريد الازدى والنهاية لابن الاثير فكل هذه المعاجم وسائر كتب اللغة التى قبلها والتى بعدها أغفلت ذكر أخصى فهل من السداد أيها الاستاذ أن نخطئ كل الاسفار التى أهملت هذا الحرف ولا سيما المحكم والتهذيب اللذين أثنى عليهما صاحب لسان العرب بقوله « لم اجد فى كتب اللغة اجل من تهذيب اللغة لأبى منصور الازهرى ولا أكمل من المحكم لابن سيده الاندلسى ، وتصوب

القاموس وإن كان صاحبه لايتثبت فى ماينقل كما أشار إلى ذلك العلامة الشدياق.

فما أراه خليقاً بالركون إليه ان مثل الشيخ لايتمارى فى ما يؤيده دليل العقل ويصححه القياس ولذلك أقول إذا قدر أن هذا الحرف منقول عن العرب فمن المستحيل أن يكون معناه تعلم علماً واحداً لأن الفعل اللازم إن لم يكن للمطاوعة أو ماأشرب معناها لايفسر بفعل متعدفأخصى فعل لازم لاينصب مفعولا فكيف يفسر بتعلم المتعدى الناصب مفعولا وأما إذا كان للمطاوعة أو ماأشرب معناها فانه يفسر بمطاوع يرادفه أو بفعل متعد هو أصل للمطاوع على شريطة بنائه لما لم يسم فاعله فاذا أريد تفسير معنى انسحق الحجر فسر باندق أو دق ولا يفسر بدقته أو دقه وإذا طلب تفسير أكب وهو مشرب معنى المطاوعة فسر بانقلب أو قلب ولا يفسر بقلبه أو قلبته، ومثل أكب أخصى فاذا سئل تفسيره فسر بعمل لا بعمله او معلته ولا بانعمل لأنه لم يسمع .

* * *

ومن طرق الوضع عند العرب أن يشربوا المطاوع معنى المتعدى والمتعدى معنى المطاوع وذلك من باب حمل النقيض على نقيضه فيقال دعوت زيداً فانصات أى فأجاب الدعاء فان «انصات» أشرب معنى المتعدى وصيغته صيغة اللازم ولو قيل أصات لكان على القياس ولكنه لم يقل . ويحمل على أصات أخصى اذا كان مسموعاً فيقال أخصى الرجل اذا معل فان أخصى أشرب معنى المطاوعة وصيغته صيغة المتعدى ولو قيل انخصى لكان على القياس ولكنه لم يقل ولا ينهب على ذكاء الشيخ أن «انصات» وإن كانت صيغته صيغة اللازم وهى انفعل يقتضى المفعول ضمناً وإن لم ينصبه صريحاً لأنه مشرب معنى أجاب المتعدى وأما أخصى فانه وإن كانت صيغته صيغة المتعدى وهى افعل لايقتضى المفعول لأنه مشرب معنى اللازم ومهما يكن من الأمر فلا طريق من طرق الوضع يجرى عليها إلى إمكان تفسيره بتعلم العلم الواحد فاذا تصدى أحد لاثبات هذا التفسير بغير الدليل الصادق فكل ذى أدب كالشيخ ينضح عن لغته ويدفع عنها مخرفة تسوء من شدا منها طرفاً يسيراً . وأما القول ان هذا التفسير حصنه

عن بصر الناقد ثبوته على ماهو فى كل نسخ القاموس فقد رددته ببينة قيمة ذكرتها قبل هذا الكلام وهاءنذا أعززها بابراز بعض مافيه من الأغلاط التى لم يصححها الشدياق والهوريني ولا غيرهما من كل من انتقدوه أو راقبوا طبعه وفى يقيني أنك ستسبح ربك عند ماترى أن «معل» عطست فولدت التعلم وأن معل الرجل (أى سل خصيتيه) انقلب علماً فاقرأ واحكم لا كحكم غيرك ياقاضياً حرسنى الله من الشك فى قسطه وأنالنى أجزل الحظوظ من حلمه .

* * *

قال فى القاموس الأمى الغبيُّ وهو خطأ صوابه العيُّ بالعين المهملة بعدها الياء فليس فى نسخة الهوريني التى صححها ولا فى حاشيته تصحيح لمعنى هذا الحرف وليس له ذكر فى الجاسوس للشدياق . وليست نسخة من النسخ التى ذكرتها تنطق أيها الاستاذ بصواب هذا الخطأ، وقال فيه : الهِلَوْف العظيم البطين، صوابه البطىء بالهمزة قبلها الياء فلم يصحح هذا الحرف الشدياق ولا الهوريني ولا أحد غيرهما ممن تولوا طبع القاموس أو هذبوه . وقال فيه : الكهف هو كالغار فى الجبل وصوابه كالمغار فلم يذكر هذا الصواب الهوريني ولا الشدياق ولا أحد غيرهما ممن طبعوه أو صححوه . وقال فيه : معل به عند فلان بالعين المهملة إذا وقع به والصحيح انه بالغين المعجمة، وقال أيضاً يقال هو صاحب معالة والصواب صاحب مغالة بالغين المعجمة أيضاً ، لم يصحح ذلك الشدياق ولا الهوريني ولا أحد غيرهما ممن صححوا القاموس اوطبعوه . وقال فيه : اعتقل الرَّجل ثناها على الورك والصواب على المورك ولم يصحح ذلك أحد ممن نقدوا القاموس كالشدياق والهوريني ولا غيرهما ممن صححوه اوطبعوه . وقال أيضاً المِعصل المشدد على غريمه وصوابه المتشدد فلم يذكر هذا الصواب الشدياق او الهوريني او غيرهما ممن تولوا طبعه أو تصحيحه.

وقال فيه : النُّخيلة كجهينة النصيحة والطبيعة ، والصواب كسفينة فى المعنيين ولم يذكر هذا بتصحيح أحد ممن اومأت اليهم . وقال فيه : الدهاء والدهى الادب بالدال المهملة والصواب الإِرب أى العقل بالراء المهملة ساكنة وقبلها الهمزة مكسورة فلا احد صحح ذلك فى كل نسخ القاموس ولا أشار اليه الشدياق والهوريني .

وقال فيه : الدنمة والدنامة بكسر داليهما وشد النون القصيرة والصواب القصير لان التاء للمبالغة لا للتأنيث ومثل ذلك الدنبة والدنابة فلم يصحح ذلك احدمن كل من ذكروا آنفاً . وقال فيه : الخصمة من حروز الرجال تلبس عند المنازعة والصواب من خرز الرجال يلبسونها اذا أرادوا أن ينازعوا فلم يصحح ذلك أحد ممن ذكروا ومنهم الشدياق والهوريني .

وقال فيه : ضرب سخين كسمير مؤلم حار ، الصواب سخّين كسكين فلم يصحح ذلك أحد ممن تقدم ذكرهم . وقال فيه : الضئنى السقاء الضخم من جلدة يمخض بها الرائب ، والصواب من جلد يمخض به فلم ينطق بهذا الصواب أحد ممن ذكروا . وقال فيه : الردَه محركة جمع ردهة وهو خطأ فالرده إسم جمع لاجمع ، ولم يشر الى الصواب الهوريني ولا الشدياق ولا أحد غيرهما ممن نقدوا القاموس .

وقال فيه : المحمر كمقطم الفرس الهجين ، والصواب كمنبر ، لم ينطق به الشدياق والهوريني ولا أحد من كل من تولوا تنقيح القاموس أو طبعه . وقال فيه وهو من المضحكات هو حواليه ، فصوابه هم حواليه أو قعدوا حواليه ، فقد أغفل تصحيح ذلك كل الواقفين على طبع القاموس وكل من نقده كالشدياق فى الجاسوس والهوريني فى نسخته التى صححها وحاشيته المطبوعة على الهوامش مع أن الفرد يستحيل أن يكون قاعداً فى كل الجهات المحيطة بغيره .

فما أتيت على ذكره أيها الأستاذ قُل ّ من كثر ما فى القاموس من الخطأ الذى لا يزال منتشراً فى كل نسخة فاذا أصررت على إنكار الخطأ فى تفسير القاموس لأخصى لزمك أن تنكره فى كل ما ذكرته لك من الحروف وإن كنت عادلا فقل وقال فيه : أخصى الرجل تعلم علماً واحداً وهو خطأ صوابه معل معلا واحداً لم يصححه الشدياق ولا الهوريني ولا أحد غيرهما ممن نقدوا القاموس وتولوا طبعه .

ولا يصوب تفسير القاموس لأخصى بتعلم علماً واحداً إلا اذا ابتدع معنى جديد لخصى المجرد فعليك أن تستجيز حريفك رجُلَ وحدِه بذلك فانه ينيلك الوطر على غير كلفة لأنه يجيبك فى مثل لحظة عين قائلا : قالت العرب خصيت

زيداً علماً واحداً فأخصى أى علمته علماً واحـداً فتعلمه وإلا فلا يتجاوز معنى الاخصاء سل الخصيتين فهل يروقك أيها الأستاذ أن نعبث باللغة كما تعبث الولدان بالكرة أم هل يُطيب نفسك أن يكون ذو العقل أسيرَ التقليد نازلا تحت قضاء الناسخ الماسخ كالامرة قال أبو حنيفة رحمه الله « ما جاءنا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن أصحابه أخذناه عنهم ولم نخرج عن قولهم ، وماجاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال» . انتهت المناظرة .

ذكرى لغوية للعلامة الامير شكيب أرسلان

لكل من استاذنا البستانى والاستاذ المغربى والاب الكرملى وجهة فيما يقول وهذه مسائل قيل فيها الشىء وعكسه كثيراً وما أوسع أبواب العربية لمن عرفها.

ومن الجملة قالوا إنه لا يقال منتزه لأنه لم يرد انتزه وإنما هو تنزه واسم المكان ينبغى أن يكون « متنزه » ولكن بعض البلغاء استعمله ويظهر أن استعماله قديم العهد كنت أقرأ أمس فى تاريخ بغداد لأبى الفضل احمد بن طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٩٠ فمرت بى هذه الجملة « وقال بعض أصحاب المأمون يوما فى سنة خمس ومائتين وقد خرج الى منتزه له الخ » وهى واضحة أنها منتزه بتقديم النون بعد الميم على التاء لا بتقديم التاء على النون وكثيراً ماتغفل معاجم اللغة ألفاظاً هى واردة فى كلام العلماء ممن يحفظون اللغة .

على أن مالا أرى له وجها هو قول الجرائد « دهست السيارة فلاناً » وإنما هى داست ولم يرد دهس بشىء من هذا المعنى . وكذلك « كرس نفسه » بمعنى خصص نفسه ليست عربية ثم يقولون كثيراً « جندنا البواسل » وفاعل لا يجمع على فواعل إلا مما لا يعقل حال كون الجند يعقلون وأما فوارس فهو شاذ كما لا يخفى والشاذ لا يقاس عليه . وكذلك بعضهم لا يزال يجمع نية على « نوايا » وهو غلط وإن كان شىء من هذه الالفاظ ورد فى فصيح كلام من الجاهلية أو من الصدر الاول فليذكروه لنا .

برلين شكيب أرسلان

(إتفاق غريب) يقول الناشر : بلغنى أن العلامة الكرملى يذكر العلامة الاستاذ البستانى ويترحم عليه ويقول : إن من غرائب الاتفاق أن تدرك الاستاذ منيته عقب مناظرتى إياه بمدة يسيرة وكأنه رحمه الله إنما مات متأثراً من صدمة الرد، ومثله فى ذلك الاساتذة: جبر ضوميط والاب منش الحلبي وأسعد خليل داغر، فقدمات كل واحد منهم بعد مناظرتى إياه متأثرين بقوة الحجة ومفحم البرهان .

﴿ فهرس بحوث المناظرة وموضوعاتها ﴾



كتاب الاخلاق والواجبات

للاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي

قال فيه العلامة يعقوب صروف فى المقتطف : (كتاب الأخلاق والواجبات) من نفائس الكتب فى الفلسفة الأدبية أو علم الاخلاق .

وقال الفاضل (فيليب حتى) أستاذ العلوم والآداب الشرقية فى جامعة برنستون فى نيويورك : قرأت كتاب الاخلاق والواجبات فلم أجد فيه شيئاً من المبادى الاخلاقية والادبية التى لا يحسن بالمسيحى أن يتعلمها فضلا عن المسلم .

وقال العلامة (بولس الخولى) أستاذ التعليم فى الجامعة الامريكية ببيروت :

كتاب الاخلاق والواجبات مؤلف مفيد لاسيما للناشئة العربية فانه وإن كان موجها للطلبة المسلمين فان الطلبة النصارى يستفيدون من دروسه كثيراً فعسى ان يعتمد تدريسه كثير من مدارس بلادنا فان ذلك مما يعمل على إزالة شقة التباعد الفكرى القائمة بتوارثنا للتقاليد الاجتماعية والطائفية فى الشرق .

وقال الاستاذ (اغناطيوس كراتشقوفسكى) احد اعضاء مجمع العلوم الروسى فى لينينغراد فى كتاب ارسله الى مؤلف الاخلاق والواجبات باللغة العربية ما نصه

قرأت كتابكم (الاخلاق والواجبات) وفهمت معانيه وعباراته واستقصيته من اوله الى آخره فوجدته احسن كتاب كتب فى موضوعه ولاسيما لاجل الدرس والمطالعة فى المدارس ولاجل تقوية الناشئة الجديدة فى الاخلاق الحميدة كيف لا وقد طلع هذا الكتاب سهل المأخذ . سلس العبارة . متين الاسلوب صميم العربية . وهذا مما يندر وجوده بين الادباء فى ايامنا هذه . فنعم العمل عملتموه . فقد خدمتم به الامة العربية خدمة تذكر وتشكر . اما ما كتبتم فى الاخلاق والواجبات الاسلامية فانه لا وجود له فى اللغات الاوربية . . ولذلك ارى انه سيكون لكتابكم احسن وقع بين العلماء والادباء فى اوروبا اذا ترجم الى لغاتهم .

وعندى وجه آخر لخطورة الترجمة . ذلك ان المستشرقين لا يظنون وجود النهضة الاسلامية الحاضرة الا فى بلاد مصر والهند ولا يعرفون من ابطالها الا محمد عبده والمرحوم امير على الهندى . فيكون كتابكم خير دليل على وجود النهضة بين ابناء العرب فى سوريا وهذا من الاهمية بمكان .

وقال العلامة الامير شكيب ارسلان فى تقريظ كتاب الاخلاق والواجبات ما نصه (وما أرغبنى فى تنشئة الاحداث على مبادى الاستاذ المغربى . إذ لا أرى اسلوباً يجمع بين الدين الصحيح والخلق المتين وبين الاحتياج العصرى كاسلوبه) .

